

توفيق الحكيم

أهـل الكهف

مع أول مقال تحليلي عن الكتاب
للشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر
(الأسبق)

الناشر
مكتبة مصر
٣ ش كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

- ١ — محمد عليه السلام (سيرة حوارية) ١٩٣٦
- ٢ — عودة الروح (رواية) ١٩٣٣
- ٣ — أهل الكهف (مسرحية) ١٩٣٣
- ٤ — شهر زاد (مسرحية) ١٩٣٤
- ٥ — يوميات نائب في الأرياف (رواية) ١٩٣٧
- ٦ — عصفور من الشرق (رواية) ١٩٣٨
- ٧ — تحت شمس الفكر (مقالات) ١٩٣٨
- ٨ — أشعب (رواية) ١٩٣٨
- ٩ — عهد الشيطان (قصص فلسفية) ١٩٣٨
- ١٠ — حمارى قال لى (مقالات) ١٩٣٨
- ١١ — براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية) ١٩٣٩
- ١٢ — راقصة المعبد (روايات قصيرة) ١٩٣٩
- ١٣ — نشيد الأنشاد (كافى التوراة) ١٩٤٠
- ١٤ — حمار الحكيم (رواية) ١٩٤٠
- ١٥ — سلطان الظلام (قصص سياسية) ١٩٤١
- ١٦ — من البرج العاجي (مقالات قصيرة) ١٩٤١
- ١٧ — تحت المصباح الأخضر (مقالات) ١٩٤٢
- ١٨ — بجماليون (مسرحية) ١٩٤٢
- ١٩ — سليمان الحكيم (مسرحية) ١٩٤٣
- ٢٠ — زهرة العمر (سيرة ذاتية — رسائل) ١٩٤٣
- ٢١ — الرباط المقدس (رواية) ١٩٤٤

- ٢٢ — شجرة الحكم (صور سياسية) ١٩٤٥
- ٢٣ — الملك أوديب (مسرحية) ١٩٤٩
- ٢٤ — مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠
- ٢٥ — فن الأدب (مقالات) ١٩٥٢
- ٢٦ — عدالة وفن (قصص) ١٩٥٣
- ٢٧ — أرني الله (قصص فلسفية) ١٩٥٣
- ٢٨ — عصا الحكيم (خطرات حوارية) ١٩٥٤
- ٢٩ — تأملات في السياسة (فكر) ١٩٥٤
- ٣٠ — الأيدى الناعمة (مسرحية) ١٩٥٩
- ٣١ — التعادلية (فكر) ١٩٥٥
- ٣٢ — إيزيس (مسرحية) ١٩٥٥
- ٣٣ — الصفقة (مسرحية) ١٩٥٦
- ٣٤ — المسرح المتنوع (٢١ مسرحية) ١٩٥٦
- ٣٥ — لعبة الموت (مسرحية) ١٩٥٧
- ٣٦ — أشواك السلام (مسرحية) ١٩٥٧
- ٣٧ — رحلة إلى الغد (مسرحية تنبؤية) ١٩٥٧
- ٣٨ — السلطان الخائر (مسرحية) ١٩٦٠
- ٣٩ — ياطالع الشجرة (مسرحية) ١٩٦٢
- ٤٠ — الطعام لكل فم (مسرحية) ١٩٦٣
- ٤١ — رحلة الربيع والخريف (شعر) ١٩٦٤
- ٤٢ — سجن العمر (سيرة ذاتية) ١٩٦٤
- ٤٣ — قمس النهار (مسرحية) ١٩٦٥

- ٤٤ — مصير صرصار (مسرحية) ١٩٦٦
٤٥ — الورطة (مسرحية) ١٩٦٦
٤٦ — ليلة الزفاف (قصص قصيرة) ١٩٦٦
٤٧ — قالبنا المسرحي (دراسة) ١٩٦٧
٤٨ — بنك القلق (رواية مسرحية) ١٩٦٧
٤٩ — مجلس العدل (مسرحيات قصيرة) ١٩٧٢
٥٠ — رحلة بين عصرين (ذكريات) ١٩٧٢
٥١ — حديث مع الكوكب (حوار فلسفي) ١٩٧٤
٥٢ — الدنيا رواية هزلية (مسرحية) ١٩٧٤
٥٣ — عودة الوعي (ذكريات سياسية) ١٩٧٤
٥٤ — في طريق عودة الوعي (ذكريات سياسية) ١٩٧٥
٥٥ — الحمير (مسرحية) ١٩٧٥
٥٦ — ثورة الشباب (مقالات) ١٩٧٥
٥٧ — بين الفكر والفن (مقالات) ١٩٧٦
٥٨ — أدب الحياة (مقالات) ١٩٧٦
٥٩ — مختار تفسير القرطبي (مختار التفسير) ١٩٧٧
٦٠ — تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات) ١٩٨٠
٦١ — ملاحم داخلية (حوار مع المؤلف) ١٩٨٢
٦٢ — التعاقدية مع الإسلام والتعاقدية (فكر فلسفي) ١٩٨٣
٦٣ — الأحاديث الأربعة (فكر ديني) ١٩٨٣
٦٤ — مصر بين عهدين (ذكريات) ١٩٨٣
٦٥ — شجرة الحكم السياسي (١٩١٩ — ١٩٧٩) ١٩٨٥

كتب للمؤلف نشرت في لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت
عضو الأكاديمية الفرنسية في دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى
الإنجليزية في دار النشر (بيلوت) بلندن ثم في دار النشر (كروان)
بنيويورك في عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثري كنتنتزا بريس)
واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٢٥
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ في دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية
في واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب في الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩
(طبعة أولى) وفي عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفي عام ١٩٧٤ و ١٩٧٨
(طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية
عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية في دار (هارفيل) للنشر بلندن
عام ١٩٤٧ . ترجمة أبا إيمان . ترجم إلى الأسبانية في مدريد عام ١٩٤٨
وترجم ونشر في السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١
وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي
لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دي فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما
عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية في مدريد عام ١٩٤٦ .
عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

- ونشر طبعة ثانية في باريس عام ١٩٦٠ .
عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس بعنوان (مذكرات
قضائي شاعر) عام ١٩٦١ .
بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ ،
وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثرى كنتنتز برايس)
بواشنطن ١٩٨١ .
سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠
وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (كنتنتز برايس) بواشنطن ١٩٨١ .
نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
بيت الثلج : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٢ .
الزمارة : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس
عام ١٩٥٠ .
السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثرى كنتنتز برايس)
بواشنطن ١٩٨١ .
شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز)
واشنطن عام ١٩٨١ .
صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز)
واشنطن عام ١٩٨١ .

- وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٤ .
- يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية في لندن عام ١٩٦٦ في دار نشر أكسفورد يونيفرستي بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .
- مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .
- مع : كل شيء في مكانه .
- السلطان الحائر .
- نشيد الموت .
- لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان — لندن .
- الشهيد : ترجمة داود بشاي (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوي تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .
- محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجي ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .
- المرأة التي غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج بيرلين .
- عودة الوعي : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلي وندر ونشر دار ماكملان — لندن .

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ
عَدَدًا ، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيَّ الْجِزْيَةِ
أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا ... ﴾

(قرآن کریم)

الفصل الأول

(الكهف بالرقيم .. ظلام لا يتبين فيه
غير الأطياف ؛ طيف رجلين قاعدين
القرفصاء ، وعلى مقربة منهما كلب
باسط ذراعيه بالوصيد)

-
- مشلينيا : (وهو أحد الرجلين) يا مرنوش !
مرنوش : استيقظت ؟ ماذا تريد مني ؟
مشلينيا : أين أنت ؟ أسمع صوتك المتبرم ولا أراك . آه !
ظهري يؤلمني !
مرنوش : دعني . أنا أيضاً ضلوعي تؤجعني . كأنما تمث
عليها عاماً .
مشلينيا : أين الراعي ؟ أين ثالثنا الراعي ؟
مرنوش : أتبين شبح كلبه هنا باسطاً ذراعيه .

- مشلينيا : ألا ترى هذا الراعى يتجنبُ قربنا ، أين هو ؟
- مرنوش : لعله يباب الكهف يرقبُ طلوعَ النهار ، شأن
الرعاة .
- مشلينيا : (يتمطى) آه ! ظهري يؤلمنى ! كم لبثنا
يا مرنوش ؟
- مرنوش : أف ! إنك تخرج صدرى بأسئلتك !
- مشلينيا : أنا كذلك لو تعلم ضيقُ الصدر مثلك ! مرنوش ،
كم لبثنا هاهنا ؟
- مرنوش : يوماً أو بعضَ يوم .
- مشلينيا : من أدراك ؟
- مرنوش : وهل ننام أكثر من هذا القدر ؟
- مشلينيا : صدقت (صمت) ، (وفجأة يقول وهو نافذ
الصبر) أريد الخروج من هذا المكان .
- مرنوش : ويحك ! إلى أين ؟
- مشلينيا : أو تريدنى على المبيت هنا ليلة أخرى ؟
- مرنوش : ليلتين أو ثلاثاً ، حتى نأمن على حياتنا من

دقيانوس .

مشلينيا : (صائحاً متدمراً) لا أستطيع ، لا أستطيع .
مونوش : ولم أستطيع أنا ، وأنا ولئى امرأة وولد أعزهما
وأعبدهما ؟

مشلينيا : أنت تستبقى حياتك من أجلهما .
مرونش : وأنت ؟ ألا تريد أن تستبقى حياتك من أجل ...
مشلينيا : نعم يا مرونش ، لكن ها أنت ذا ترائى لا أقوى على
البعد يوماً واحداً .

مرونش : مشلينيا ! احذر لنفسك ولنا ! المذبحة لا تزال
قائمة فى المدينة ، إلى لن أحتمل نزقك بعد اليوم .
(يبدو شبح يتخبط فى الظلام ...) .

مشلينيا : من هذا ؟
يمليخا : أنا الراعى يا مولاي .
مشلينيا : تفقدناك الساعة .
يمليخا : قمك أتلمس الطريق إلى الباب ، فلم أهتد إليه .
مشلينيا : اقعد بجوارنا . مذ قدتنا إلى هذا الكهف وأنت

- صامت ، كأنك لا تأنس بنا !
- مرنوش : ما اسْمُكَ أيها الراعي ؟
- يمليخا : اسمي يمليخا يا مولاي .
- مشلينيا : لماذا تدعوننا دائماً بيامولاي ؟
- يمليخا : وبماذا أدعو صاحب يمين الملك وصاحب يساره .
- مرنوش : عجباً !... من أنبأك أننا صاحبنا الملك ؟
- يمليخا : وهل يُجهل الوزيران ؟
- مشلينيا : رأيتنا من قبل ؟
- يمليخا : كثيراً .
- مرنوش : أين ؟
- يمليخا : بمدينة طرسوس ، في ساحة مصارعة السباع .
- كنتما تحوطان الملك في شرفته ، والأنظار ترمقكم والشفاه تهمس : هذا الملك ، وهذان مشلينيا ومرنوش .
- مشلينيا : عرفتنا إذن ساعةً جئناك نعدو نسألك ملجأً ومخبأً ؟

- يمليخا : لم أتبينكما أول الأمر . لكن سمعت أحدا كما يقول لصاحبه : « إنهم في أثرنا يا مرنوش فلنسرع » فنبهني الاسم من ساعتى ، فتركت غنمى ، وجمت بكما إلى كهف الرقيم .
- مشلينيا : (بعد صمت) ألم نلهدك عن غنمك يا يمليخا ؟
- يمليخا : لا بأس ، إنها ترعى الكلا آمنة ، ولا يعلم أحد أنها لمسيحي .
- مرنوش : أنت أيضاً كنت تخفى دينك ؟
- يمليخا : نعم يا مولاي . . .
- مشلينيا : يمليخا ! كلمة « مولاي » تُؤذى سمعى ، إنا هنا إخوة ومسيحيون فلا موالى ولا عبيد .
- مرنوش : هل لك أهل يا يمليخا ؟
- يمليخا : ليس لى إلا قطمير ؟
- مشلينيا : من هو قطمير ؟
- يمليخا : (يشير إلى الكلب) كلبى هذا .
- مرنوش : أنت إذن أسعدنا حالا .
- (أهل الكهف)

(صمت ...)

- يمليخا : (فى تردد) لو أجرؤ على السؤال ...
- مشلينيا : سل عما شئت يا يمليخا ، ولا ترهب أمراً .
- يمليخا : مذ رأيتكما راكضين هرباً من المذبحة حَدَسْتُ
وَعَجِبْتُ ولكن أذهلنى أمر نجاتكما عن كل
شئ . وأتينا الكهف ، فسكنت إلى نفسى أفكر
فى أمركما حتى دَقَمْنى نوم ثقيل لم أصحُ منه إلا
الساعة ، وكان بأضلعى كسراً ...
- مشلينيا : ما الذى حيرك من أمرنا ؟
- يمليخا : دقيانوس عدو المسيحية ما كان يعلم أن وزيريه
مسيحيان !
- مرنوش : (فى اندفاع مقصود) وهو لا يعلمُ كذلك أن
ابنته مسيحية ... هذا الأمر بذبح المسيحيين .
- يمليخا : (فى استغراب) ابنته ؟ الأميرة بريسكا ؟!
- مشلينيا : (فى صيحة عجب ولوم) مرنوش !
- مرنوش : وأى حرج أن أخبر يمليخا بهذا ؟ إلا أن أكون

ذَكَرْتُ قَلْبِكَ يَا مِشَلِينِيَا ...

ميليخا : معذرةً يا مولاي ! أنا لم أطلب العلم إلا بأمر

واحد : كيف عرف الملك سر كما ؟ أمكيدة ؟
أوشاية ؟ .

مرنوش : أخبره أنت يا مشلينيَا ...

مشلينيَا : أريد الخروج من هذا المكان .

مرنوش : أيضًا ؟ يا لمُصِيتي بك !

مشلينيَا : قلتُ لك لا أستطيعُ المكث هنا يومًا آخر .

مرنوش : أيها التزق ! أما كففاك أنك أوقعتنا فيما نحن فيه ؟

مشلينيَا : إنك حاقد على !

مرنوش : بل أحمد الله على أن رسالتك المشعومة لم يكن بها

غير اسمينا !

(مشلينيَا لا يجيب) نعم ... إنها من سوء حظي

الرسالة الأولى والأخيرة .

مشلينيَا : من سوء حظك ... حقيقة .

مرنوش : طالما حذرتك الكتابة إلى بريسكا .

مشلينيا : صبه ا

مرنوش : لكنك هذه المرة قد ذهب رشدك دفعة واحدة ...

فكتبت ثم دفعت الرسالة إلى وصيفة غيرى تضرع
لكما الشر ... ألا تذكر أنى نبهتك يوماً إليها وقد
لحظت منها أشياء . أو لم تجد رسولاً سوى هذه
المرأة ؟ (مشلينيا لا يجيب) ياقللة الحذر ! أو لم
تخبرنى أنك قبل الرسالة المشعومة بقليل أهديت إلى
بريسكا يداً بيد صليباً صغيراً من الذهب
استصينعته لها ؟ ... فماذا عليك لو أنك أعطيتها
الرسالة كذلك يداً بيد ؟ (مشلينيا لا يجيب)
ولكنك تزعم أنك لم تستطع ، فلقد كتبتها بعدئذ
على عجل ... نعم ، كى تخبرها أنك ذاهب
بصحبة مرنوش تصلى سراً صلاة الفصح
وتذكرها فى الصلاة ! (مشلينيا لا يجيب)

بصحبة مرنوش !!

مشلينيا : نعم كلمة لو لم أخطأها ...

مرنوش : لكنك نجوت بجلدي .

مشلينيا : أجل كنت نجوت بجلدك .

مرنوش : ولما كنت خسرت مكانى عند الملك . ولما جئت

أحطم عظامى على أرض هذا المكان الموحش هذه

الليلة . ولما تركت امرأتى وولدى وحدهما فى عذاب

القلق وسط هوجاء المذبحة .

يمليخا : (بعد لحظة صمت) مولاي ! أو تركت أهلك فى

الخطر !

مرنوش : أحمد الله على أن ليس أحد يعلم أنهما مسيحيان ، ولا

أنهما يمتان إلهى بصلة ، إن أمر زواجى سر لا يعرفه غير

ثلاثتنا الآن . ثم إنى أخفى امرأتى وولدى عن الناس فى

بيت منفرد منذ سنوات . كلا ... لا خوف

عليهما ... لقد عصفت قبل اليوم مذابح ومجازر فلم

يمتد إليهما أذى .

يمليخا : ذلك من فضل المسيح .

مرنوش : قل هو سوء المصادفة أن يظهر سرنا للملك ، ولما يمض

يومان على أمره بذبح المسيحيين .

يمليخا : نعم إني أتخيل مبلغ غضبه .

مرنوش : قيل إنه جعل يَجَارُّ ، والرسالة في يده يتلوها ضاحكاً
ضحكات مخيفة ، ونادى ابنته ، وأطلعها عليها وهو
يصيح بمن حوله أن أعدوا أقفاص السباع الضارية ،
فلسوف تقدم لها وليمة لا تنساها .

يمليخا : يا للهول ...

مرنوش : لو لم تنسل الأميرة بريسكا إلى باب القصر تنتظر أوبتنا
من صلاة الفصح لتدعونا إلى الفرار ...

يمليخا : هو المسيح شاء لكما النجاة .

مرنوش : نعم ... ولكن أية نجاة هذه التي تفصل بيني وبين
امرأتى وولدى ؟ آه ! كلما أذكر ابني ينهض هذا
الصباح ولا أقبله ...

يمليخا : كم تحب أهلك !

مرنوش : إني إنما أحيا بهما ولهما ...

يمليخا : صبراً ! إن رحمة الله قريب .

مرنوش : حقيقة ا قرب السماء من الأرض ا تلك الرحمة التي

لا تسعف إلا من يستطيع الانتظار ا

يمليخا : لا تسخر ... إن الله حق ...

مرنوش : لا شأن لله بنا ها هنا . نحن اللذان أوقعنا بنفسينا في

التهلكة ... ومع ذلك ... فإني ما أوقعت نفسي .

يمليخا : كل شيء على هذه الأرض بأمر الله .

مرنوش : إلا ما نحن فيه ... فقد حدث بفعل إنسان .

يمليخا : (مستكراً) أستغفر الله! هذا كلام لا يلفظه مؤمن!

مشلينيا : (يحاول النهوض فتؤلمه عضلاته) آه ا

مرنوش : إلى أين ؟

مشلينيا : سيذهب هذا الإنسان كي يصلح فعلته .

مرنوش : ويحك ا ماذا عسالك تصنع ؟

مشلينيا : سأذهب إلى الملك تورا وأقول له : « إني جنيت على

مرنوش ظلماً ، وإن اسمه في الرسالة لا يعنى شيئاً ...

وهأنذا أقدم حياتي » .

مرنوش : اقعد ... وكفى هذراً ا قل إنك ذاهب لتسرى

حييتك .

مشلينيا : وأسفاه !

مرنوش : علام تأسف ؟

مشلينيا : ما كنت أعرفك سيء النفس بهذا المقدار .

مرنوش : كفى ، اقعد ، ولا تكن سيباً في نكبة أخرى . مهما

تقل للملك لا يصدقك ، وربما حملك بالإرهاب

والتعذيب على الإخبار بمكاني .

مشلينيا : (يعود إلى القعود في قنوط) يا إلهي ! ماذا أستطيع

لك إذن ؟

يمليخا : دع الأمر للمسيح .

مشلينيا : ليت المسيح يعلم ! أستغفر الله ! أعتقد أنه يعلم ، وأنه

سيخفف عنك .

مشلينيا : متى ؟

يمليخا : متى ؟ اللهم رحماك ! إنا لا نملك حق سؤال كهذا .

إنما ينبغي لنا أن نعتقد .

مشلينيا : إني أعجب بإيمانك يا يمليخا .

يمليخا : إني أوّمن بالمسيح لأنه حق ، ولا يمكن أن تكون هذه البشرية قد بذلت أرواحها وسفكت دماءها من أجل شيء غير الحق .

مشلينيا : أولدت مسيحياً ، أم اعتنقت الدين على كبر ؟

يمليخا : بل ولدت مسيحياً ...

مشلينيا : مثلي إذن .

يمليخا : نعم . ولكن الإيمان الحقيقي ، إيمان اليقين والافتناع لم يضيء كل نفسى إلا من يوم سمعت ذلك الراهب يتكلم تحت أسوار طرسوس .

مشلينيا : أى راهب ؟

يمليخا : كان ذلك منذ خمسة أعوام إذ بلغت الثلاثين . وما كنت بعد أفكر في غير غنمى . وكنت أدين بالمسيحية اسماً بحكم الوراثة وحدها لا عن شعور وافتناع ، حتى كان يوم ذهبت إلى مدينة طرسوس في بعض شأني ، فلمحت خارج أسوارها راهباً يتكلم في جمع صغير تخفيه عن الأعين خرائب قديمة وأحجار . فاقتربت

وظفقت أصغى ، وإذا بي كأني انقلبت إنساناً آخر ،
و كأن عيني تريان ما كانتا عنه غافلتين .

مشلينيا : ماذا كان يقول ذلك الراهب ؟

يمليخا - : لست أذكر شيئاً مما قال . لكنني لن أنسى ما شعرت به

إذ ذاك : إحساس لم يعترني في حياتي من قبل إلا مرة ،

إذ كنت أهبط الجبل ساعة غروب ، فأشرفت على

منظر بالخلاء لم أر أجمل منه ، فلبثت ليلتي أفكر

وأستذكر أين رأيت هذه الصورة من قبل ، أفي

الطفولة ، أفي الأحلام ، أم قبل أن أولد ؟ إن هذا

الجمال على غرابته ليس مجهولاً مني ! وقمت في الفجر

فذكرت صورة البارحة . وفجأة برقت في رأسي

فكرة : هذا الجمال كان موجوداً دائماً منذ الأزل منذ

وجدت الخليقة . هذا الإحساس بعينه هو ما شعرت

به وأنا أصغى إلى الراهب . إن كلامه الذي أسمعته لأول

مرة ليس مع ذلك جديداً عندي . أين سمعته ومتى ؟

أفي الطفولة ؟ أفي الحلم ؟ أقبل أن ولدت ؟ وتولدت

في نفسى عقيدة أن هذا الكلام هو الحق ، إذ لا أتصور
بدء الوجود بدونه ولا انتهاءه بدونه ...

مشلينيا : (في شبه دهش) مرنوش ! أسامع ؟

مرنوش : نعم .

مشلينيا : ما تقول في ذلك ؟

مرنوش : أقول إن هذا الراعى يتكلم هراء ولا أفهم ما يقول .

مشلينيا : أنت لا تفهم شيئاً سوى أنك غبت ليلة عن امرأتك
وولدك .

مرنوش : (في شبه تهكم) وأنت ماذا فهمت منه ؟

مشلينيا : فهمت أننا بعيدان عن الله . وأن قلبينا مشغولان بغير
الله .

مرنوش : وأى بأس في ذلك ؟

ميليخا : (مستكراً) اللهم رحماك !

(ينهض)

مرنوش : إلى أين أيها الراعى المتنسك ؟

ميليخا : (في تردد) إلى ... إلى ... إلى أحسن الجوع . ألا

أذهب إلى المدينة تحت ستر الظلام أحضر طعاماً لكما
ولى ... ؟

مرنوش : (في ارتياب) وهل ستعود إلينا ؟
مليخا : إني أترك قطميراً هنا .

مرنوش : (يشير إلى الكلب في دهشة) انظر ... انظر ! ها هو
ذا ينهض . عجباً ! أترى شبهه كيف يتلوى في الظلام
وكيف يتمطى ! يخيل إليّ أن كل من نام في هذا
الكهف يصحو وكأن أعضائه متكسرة . (لحظة)
صدقت يا مليخا . ينبغي أن تشتري لنا طعاماً . لقد
ذكرتنا بالجوع ، إني أحس كأن معدتي خاوية خالية
حتى من الهواء ! وأنت يا مشلينيا ألست جوعان ؟
(مشلينيا لا يجيب) لا تجيب ؟ لعلك مشغول حتى
عن الجوع !! (بعد لحظة) يخيل إليّ أني لست
جوعان كما ينبغي ، إني أحس كأن عضلات بطني قد
صدئت أو نامت هي الأخرى وتحتاج إلى منبه .
مليخا ! كم تحسن صنعاً لو شربت لنا ما يحرك شهوتنا

للطعام . هل معك نقود ؟

يمليخا : معى ...

مرنوش : (وهو يدهس يده فى جيبه) بل انتظر ! كانت معى
أمس فيما أذكر دراهم من الفضة . إنها لم تزل فى
جيبى ، خذ ... (يمليخا يأخذ منه النقود
ويخرج) .

مشلينيا : أتدرى يا مرنوش ما يجول برأس هذا الراعى الآن ؟

مرنوش : ماذا ؟

مشلينيا : ألا ترى أنه أسرع إلى مغادرة المكان ، لأنه لم يطلق
سماع كلامك ؟

مرنوش : حسناً فعل .

مشلينيا : نعم . ولعله أصاب فى رأيه . أنا أيضاً أشك ...

مرنوش : فيم تشك ؟

مشلينيا : حبنا لأنفسنا أقوى من حبنا لله . وأكاد أرى أنا لا تثق

بالله كثيراً .

مرنوش : ألم نُصَلِّ له ؟

مشلينيا : نعم ، كى تسأله الخير لامرأتك وولدك .

مرنوش : وأنت لبريسكا .

مشلينيا : كنا نصلى له على الأقل ... ولكن مد جعنا الكهف

فنحن لا نفكر فى غير من ... (مستدركا) فأنت لا

تفكر فى غير من تحب . إذا أنت ناقم على وعلى الله

والمسيح وعلى كل من سبب لك الفراق . فلتنقم على

يا مرنوش ولا بأس ، أما الله والمسيح ...

مرنوش : لست ناظماً عليك يا مشلينيا ولا على الله والمسيح ...

لأنى لست أفكر فى أيكم الآن .

مشلينيا : رأيت ؟ هذا عين ما أريد قوله . إنا لا نفكر قط فى

الله .

مرنوش : مشلينيا ! أتصغى إلى ؟

مشلينيا : نعم .

مرنوش : إن الله وقد خلق لنا قلوباً قد نزل عن بعض حقه علينا .

مشلينيا : (بعد تفكير يصيح فى فرح) قد تكون صادقاً فى هذا

يا مرنوش ... (فى شك) لكن ...

مرنوش : ماذا ؟

مشلينيا : الراعى . هذا الذى نبهنا إلى الله الآن . ألا ترى كيف
يذكره والمسيح فى كل وقت !

مرنوش : إن صاحبك الراعى الخلى . فما يضيره أن يمنح قلبه كله
لله أو للشيطان .

مشلينيا : (فى تأمل أو كمن يقنع نفسه) أصبت ...

(صمت)

مرنوش : (فجأة) ذهب يميلخا الراعى ؟

مشلينيا : ماذا تريد منه ؟

مرنوش : لو أنى وجهته إلى بيتى فى طريقه يرى زوجى وولدى
وينبئهما بخبرى وبقرب أوبتى ؟

مشلينيا : إنه لا يعرف منزلك . ما تقول لو ذهبت أنا ؟ إن مرآى
وحده قد يملؤهما اطمئنانا .

مرنوش : (فى تردد) أخشى أن ترتكب غلطة فتفسد علينا
الأمر .

مشلينيا : لا تخش شيئاً .

مرنوش : آه .! ستذهب طبعاً بعد ذلك إلى حيث تراها أيها
الحيث !

مشلينيا : وأي ضرر في هذا ؟ إنها تنتظرني هي أيضا ، تنتظر مني
خبراً . أتذكر يوم وقفت خلف الباب تحملنا على
الهرب ؟ أتدري ما قالت لي وهي تودعني وأنت
تجذبني من ذراعي تستعجلني ؟ لقد قالت إنها
سترقبني من نافذتها بعد ثلاثة أيام عند مطلع الفجر .

مرنوش : وهل انقضت بعد الأيام الثلاثة ؟

مشلينيا : لا بأس أذهب على كل حال أتجسس وأعود .

مرنوش : وإذا لمحك أحد وعرف من أنت ؟

مشلينيا : لا تخف ، سأتسلل في الظلام ولا أرى أحداً وجهي .

مرنوش : (في عزم وقوة) كلا . في خروجك خطر .

مشلينيا : (في غيظ كظيم) أتأبى عليّ ...

مرنوش : نعم .

مشلينيا : ما أشد أثرتك !

مرنوش : أنا ؟!

- مشلينيا : نعم أنت .
- مرنوش : يا للويل ! أنسيت وشيكما ما كنت لك دائماً ؟ وما كنت لك في حبك هذا على الأخص ؟
- مشلينيا : إنك اليوم محوت كل شيء طيب من ذاكرتي .
- مرنوش : لأنى أبديت بعض الحذر من نرق محب مثلك .
- مشلينيا : بل لأنك لا تفكر منذ جئنا هنا إلا في نفسك وفيما يمكن أن يعرضك للخطر .
- مرنوش : وأنت لا تفكر إلا في الذهاب إلى من تحب ولو جلبت على من معك الوبال ! فأينا شديد الأثرة !
- مشلينيا : أنت .
- مرنوش : أنا أيضاً ؟ ما أعمى عين المحب وما أكفره !
- مشلينيا : قل هذا لنفسك أنت كذلك على الأقل .
- مرنوش : إني أرى عيوني ولا أكفر بفضل إنسان .
- مشلينيا : (في تهكم) لو أن الراعى هنا لأخبرك أنك كفرت على الأقل بالله والمسيح .
- مرنوش : على الأقل ؟

(أهل الكهف)

مشلينيا : نعم . لأنى لا أود أن أذكرك بأحد آخر ...

مرنوش : إنك لفتى سيء النفس !

مشلينيا : أنا ١٩

مرنوش : نعم . إني لست مثلك يسهل نحو كل شيء طيب من

ذاكرتى ؛ إني لا أستطيع أن أنسى يا مشلينيا أنك

الوحيد الذى عاوننى فى زواجى الخفى ... ولازمنى

فى كل ظروفى الحرجة التى مرّ بها تأسيس هذه الأسرة

الخبوءة ... إني لا أستطيع أن أنسى أنك كنت تفرش

معى المنزل وتحمل إلينا على ذراعيك ليلا الخضر

والفاكهة إذ كنا لا نأتمن خادماً ولا عبداً على سرنا .

ولا أنسى يوم ولد ابنى أنك جعلت تحوك أثوابه

الصغيرة وقلانسك بيدك قبيل نزوله إلى هذا العالم ...

أجل ، لولاك ما كنت أستطيع أن ...

مشلينيا : لا أريد أن تذكر هذا . أريد فقط أن تذكر أنك اليوم

أضفت إلى ما أنا فيه ألم وخز الضمير بترديدك

وتلميحك فى كل لحظة أنى سبب مصيبتك ...

مرنوش : (في عتب وتأنيب) أهذه أول مرة عرّضت فيها
نفسى للخطر من أجلك ؟ (مشلينيا لا يجيب) ألا
تعترف مرة بما فيك من عيب المحبين ! العمى والكفر
والنسيان . أنت كذلك على الأقل ! قل .

مشلينيا : (يهدأ) أتعترف أنك عرّضت نفسك للخطر من أجل
حقيقة .

مرنوش : وإذن ؟ أفلا تسمح لى ببعض التبرم البرىء فى ساعة
ضيقى !

مشلينيا : وأنا ؟ متى كفرت بك ؟

مرنوش : إن الحب لبيتلع كل شىء حتى الصداقة وحتى الإيمان .
مشلينيا : حتى الإيمان !؟

مرنوش : لأنه هو نفسه إيمان أقوى من كل إيمان .

مشلينيا : أدرك ما تعنى ...

مرنوش : ماذا أعنى ؟

مشلينيا : لولا امرأتك المسيحية لما كنت اعتنقت دين
المسيح ... أنت الوثنى المؤمن بالوثنية وساعد

دقيانوس الأيمن في مذايحه السابقة !

مرنوش : ولولاك أنت لما اعتنقت الأميرة بريسكا دين المسيح

وهي المؤمنة بدين أبيها دقيانوس ؟

مشلينيا : (يكتم اغتباطه) مرنوش ! أتراها حقيقة تركت دينها

لهذا السبب ؟

مرنوش : وهل في هذا شك ؟

مشلينيا : أنت دائماً تفهمنى ذلك .

مرنوش : لأنك لا تريد أن تفهم أيها الأحمق .

مشلينيا : (مستدكراً في فرح) نعم . إني لن أنسى تلك الليلة

التي طالما حدثتك عنها . ليلة كانت في ثياب بيضاء

تخطر في بهو الأعمدة حيث موعدنا بعد سكون

القصر . لقد قلت لها وقتئذ في غير حذر « إنك ملك

من ملائكة السماء » ؟ فنظرت إليّ دهشة وسألت

عن معنى الملك ، فقلت لها في ارتباك هو اسم في

المسيحية لمخلوقات أسمى وألطف من مخلوقات

الأرض ، ثم صمت لحظة وقلت لها مموماً : « ليتنى

كنت مسيحياً » فقالت : « لماذا » ؟ قلت : حتى أستطيع أن أكون خطيبك أمام الله وأن يكون بيننا عقد مقدس لا يستطيع أحدنا الحنث به » فقالت : « أهذا في المسيحية ؟ » وصمتت لحظة ثم قالت في سداجة وحياء : « ليتنى أنا أيضاً كنت مسيحية » .

مرنوش : وبعدئذ بقليل كنت ببابى كالمجنون فرحاً .
مشلينيا : نعم . ومن فورك أخذت تفكر لى وتدبر الأمور ...
مرنوش : وكان أن ذهبتما سرا إلى الراهب كى يدخلها فى الدين .
مشلينيا : بفضل رأيك ومعونتك . مرنوش ! حقاً لست أنسى حرج موقفك يومئذ وقد لبثت بعد ذهابنا ترقب عودتنا وتقول لدقيانوس إذ يسأل عن ابنته إنها مع وصائفها فى الحمام ، ونقول لوصائفها القلقات هى عند أبيها . أجل ! غير أنى لا أرتعد لذكرى شىء مثلما أرتعد لذكرى دقيانوس وقد فاجأنى مرة فى بهو الأعمدة أنتظر بريسكا وفى يدي الكتاب المقدس . إنى لم أزل أسمع صوت الملك وهو يقول لى وأنا من الهلع

لا أعي « ما هذا الكتاب بيدك ؟ » وهنا تقدمت أنت
يا مرنوش وخطفته من يدي وقلت مجيباً « هذا كتابي
يا مولاي نسيته في هذا البهو » عندئذ أدركت أنك
مستعد أحياناً للهلاك من أجل .

مرنوش : لا من أجلك ، بل من أجل محب وخطيب أردت أن
أحفظه لخطيبته .

مشلينيا : شكراً لك يا مرنوش ... لكن ...

مرنوش : لكن ماذا ؟

مشلينيا : لكني مع ذلك لا أشكرك على ما كان منك اليوم .

مرنوش : أيضاً ؟؟

مشلينيا : (في تأمل) نعم ... (بعد لحظة) لست أدري ...

ما أعجب تركيب الإنسان ! فينا القوة أحياناً إلى حد
العظمة والتضحية ، وفينا الضعف أحياناً إلى حد
الحقارة والأنانية .

مرنوش : كان هذا لأنني أمتعك اليوم من الذهاب إليها ! (صوت

صياح يدوي بين تجاويف الكهف) .

مشلينيا : (مرهفأ أذنه) صه !

مرنوش : ما هذا ؟

الصوت : (يقترب ويصيح) ، أيها الوزيران !

مرنوش : من أنت ؟

الصوت : أنا يمليخا .

مرنوش : الراعى ؟ ولماذا تصيح هكذا ؟

يمليخا : أنما فى الظلام تنتظران الفجر والشمس فى كبسد

السماء !

مشلينيا : أين هذا ؟

يمليخا : خارج الكهف ! ولقد عثرت بالباب فإذا هو دوننا

ولا نعرف . ولكن ... شىء عجيب ... إن الحرارة

والضوء لا يدخلان إلينا منه كأنما الشمس تميل عنه فى

ذهابها وإيابها ...

مرنوش : أهذا كل ما فعلت ؟ أين الطعام ؟

يمليخا : لو تعلمان ما رأيت وما سمعت ...

مرنوش : تكلم ... !

يمليخا : ما كدثُ أسير خطوتين حتى رأيت أمامي فارساً يلبس
لباساً غريباً وكأنه صياد فأبرزت له مما معي من فضة
عارضاً عليه شراء بعض صيده فما تبينني حتى كأنه
امتلاً رعباً ولكز فرسه يريد الركض فأمسكت بزمام
الدابة وأوقفتُ الرجل وأنا ألوح له بالنقود . وفي النهاية
أخذ مني قطعة في حذر وجعل يتأملها وأنا أرقبه ، وإذا
هو يقول في تلثم وخوف وعجب وهو يقلبها بين
أصابعه : « دقيانوس ! » ثم رفع رأسه متشجعاً وقال
لي « أمعك من هذا كثير ؟ » فأخرجت له كل ما معي
فقال « أين وجدته ؟ » قلت « ماذا ؟ » قال « هذه
النقود القديمة ... هذا الكنز ١٤ » فحسبت بالرجل
مَسّاً فخطفت منه قطعتي وابتعدتُ عنه وهو يتبعني
بنظرة عجب واستطلاع وخوف ، ثم لكز فرسه
واختفى عن بصرى ...

مرنوش : صدقت إن بصاحبك مَسّاً .

مشلينيا : لا يا مرنوش ... لا تتعجل ...

مرنوش : ما بك ؟

مشلينيا : لقد داخلني شك .

مرنوش : في ماذا ؟

مشلينيا : في زمن إقامتنا بهذا الكهف . ألا تذكر أني أتيتسه

حليقاً ؟ ها أنذا الآن ولحيتي مرسله وشعري يتدلى .

ما تنبهتُ إلى ذلك إلا الساعة ! وأنا أحك رأسي

بظفري ...

ميليخا : نعم . نعم . أنا كذلك لحظت وأنا أخرج قطعة الفضة

للرجل أن أظافري طويلة على هيئة لم أعهد لها من قبل !

ومن يدري لعل الرجل ارتاع من منظر شعري المبعثر

الأشعث . نحن هنا في الظلام لا نلاحظ شيئاً ولا يرى

أحدنا الآخر .

مشلينيا : ترى ألبثنا أسبوعاً ونحن لا نشعر !

مرنوش : (يتلمس رأسه) صدقتكما ! أنا أيضاً لا أحسبني

جئت الكهف بهذا الشعر كله في رأسي ولحيتي . هذا

عجيب ! انظريا مشلينيا . لو كنت تبصر في الظلام .

أكاد بهذه اللحية أشبه القديسين على ما يخيل إليّ ...

يمليخا : لعلنا مكثنا شهراً . .

مرنوش : ويحك ! شهراً ١٢ وأين كنا طول هذه المدة ؟

يمليخا : كنا نياماً .

مرنوش : أهذا كلام عاقل ؟

يمليخا : ولم لا ؟ إني سمعتُ من جدتي ووالدتي وأنا صغير أن

راعياً اعتصم بغارٍ من سيل هائل وكان مؤمناً بالله

والمسيح فنام شهراً حتى انقطع السيل فصحا وخرج

سالمًا كما دخل دون أن يشعر بالزمن .

مرنوش : تلك أساطير عجائز .

يمليخا : إني أؤمن بهذه الأسطورة ولا أرى فيها عجباً . لقد قيل

إن الجثث لا تفسد سريعاً في الغار لرطوبة المكان

فكيف والشهر ممطر وكيف وإرادة الله والمسيح تشاء

النجاة لذاك المؤمن !

مرنوش : (نصف ساخر) وفي حالتنا هذه ؟ ما تقول ؟ أهو

المطر والسيل ؟ أم إرادة الله والمسيح ؟

يمليخا : في حالتنا هذه كذلك ... ألم أقل إني رأيت الشمس
تميل عن الكهف على نحو عجيب ، أليس ذلك كى لا
تؤذى حرارتها أبداننا ؟ هي إرادة الله والمسيح شاءت
هذه الأعجوبة لتنجي المؤمنين .

مرنوش : (في تهكم خفيف) المؤمنين ؟ ، أشكر يا يمليخا !
أظن أن لولا وجودك معنا ما كانت إرادة الله والمسيح
شاءت لنا أية أعجوبة !!

مشلينيا : (ناهضاً فجأة) مرنوش ! .

مرنوش : إلى أين يا مشلينيا ؟

مشلينيا : مهما يكن من أمر فلا ريب أن الأيام الثلاثة قد
انقضت .

مرنوش : تعنى أنك ذاهب إلى ...

مشلينيا : ولن تمنعنى قوة فى الأرض .

مرنوش : (فى تهكم خفيف) ولا فى السماء ؟؟

(صوت ضجة خارج الكهف)

يمليخا : صه ! أسمعان ؟

مرنوش : ما هذا أيضاً ؟

يمليخا : (مرهفاً الأذن) هذا صوت أناس عديدين !

مرنوش : (ناهضاً بقوة) ويلنا ! هلكننا ...

مشلينيا : هلكننا !

مرنوش : نعم . هؤلاء ولا ريب رجال دقيانوس جاءوا

يلتمسوننا . أرأيت يا يمليخا ؟ إن هذا الفارس المخبول

قد ذهب ودل على مكاننا . ألم أقل لكم لا خروج قبل

أن نستوثق من الأمان ؟ وأنت يا مشلينيا الذي كنت

الآن على وشك الخروج !!

(صوت الناس في الخارج يقترب)

الناس : (صائحين في الخارج) يا صاحب الكنز ! ابرز إلينا يا

صاحب الكنز ! لا تخف اخرج لنا ولا تخف ! .

مرنوش : أي كنز ؟ ومن هو صاحب الكنز ؟

يمليخا : (يشير بالصمت هامساً) صه ! صه ! .

مشلينيا : (همساً) أخشى أن يدخلوا علينا .

الناس : (تقترب من باب الكهف) هذا كهف ! هذا باب

كهف !. (فئة أخرى من الناس) لكنه مظلم !.. إنه مظلم !.. (فئة أخرى) أحضروا المشاعل ؟ أوقدوا المشاعل !

مرنوش : (همساً) ما العمل ؟

مشلينيا : (همساً) إننا محاصرون !

يمليخا : (همساً) فلنسلم أنفسنا لله والمسيح !

(لا تمضى لحظة حتى يشع في داخل الكهف ضوء ، ثم يشتد اللفظ ويدخل الناس هاجمين وفي أيديهم المشاعل ولكن .. ما يكاد أول الداخلين يتبين على ضوء المشاعل منظر الثلاثة حتى يمتلئ رعباً ويتقهقر وخلقه بقية الناس في هلع وقد اضطرب نظامهم وهم يصيحون صيحات مكتومة) .

الناس : (في تقهقر ورعب) أشباح !.. الموتى !..

الأشباح !.. (ويخرج الجميع في غير نظام تاركين بعض مشاعلهم . ويخلو المكان للثلاثة وكلهم

والضوء منتشر ولكنهم سالمون جامدون كالمائيل
كأنما أوعتتهم هم أنفسهم هذه الكلمات : « أشباح
وموتى ، أو كأنهم لا يفهمون مما رأوا وسمعوا
شيئاً » .

الفصل الثاني

(بهو الأعمدة . الأميرة بريسكا بين
وصائفها وفي يدها كتاب) .

الأميرة : (متسائلة) أين مؤدى غالياس ؟ لم أراه هذا
النهار . (يبدو المؤدب غالياس مقبلاً على عجل
وهو شيخ طاعن في السن أبيض الشعر .
وتنصرف عندئذ الوصائف وتبقى الأميرة
ومؤدبها) .

غالياس : (وهو يلهث) ها أنذا أيتها الأميرة !
الأميرة : عجباً ! مالك تلهث والعرق يتصبب من
جبينك !

غالياس : كنتُ بالمدينة يا مولاتي ، ولو لم أذكرك الساعة لما
جئتُ ركضاً .

الأميرة : ماذا بالمدينة ؟ أبى كذلك كان يطلبك الساعة في

اهتمام غريب .

- غالياس : (يتحرك بسرعة) الملك يطلبني ؟
الأميرة : (مستوقفة) انتظر ! أترى ما بيدي ؟ كتاب
الأحلام إني رأيتُ الليلة حلماً عجيباً يا غالياس ؟
غالياس : خيراً يا مولاتي ؟
الأميرة : رأيتُ كأني دفنتُ حية .
غالياس : (مفكراً لحظة) يا إلهي ! أيمكن أن يكون لهذا
صلة بما شاع اليوم في المدينة ؟
الأميرة : ماذا شاع بالمدينة ؟
غالياس : أن كنزاً من عهد دقيانوس مدفون في كهف بوادي
الرقيم .
الأميرة : (مستذكرة) دقيانوس ؟
غالياس : نعم دقيانوس صاحب عصر الشهداء . ألم أحدثك
بخبزه فيما حدثتكَ من قديم التواريخ ؟
الأميرة : أليس هو أب تلك الأميرة التي تسميت باسمها ؟
غالياس : ها أنت ذى قد ذكرتِ يا مولاتي . نعم هي

ابنته ... تلك الأميرة القديسة التي تنبأ لك
العراف ساعة ميلادك بأنك ستشبهينها خلقاً
وإيماناً .

الأميرة : أو ترى هذا العراف قد صدق ؟ أو ترانى أشبهها
حقيقة ؟ إني لا أكاد أعرف شيئاً يا غالياس . وأنت
لا تريد أن تطلعننى على تاريخها . ما أقساك إنيك
لا تحس مبلغ رغبتى فى معرفة تلك التى يزعمون
أنى أشبهها ... !

غالياس : أقسم بالمسيح يا مولاتى أنى أطلعتك على كل ما
أعرف عن تاريخها وكل ما وصل إلى علمنا من
عهدنا . ألم أقل لك إنها كانت مسيحية شديدة
الإيمان بالله والمسيح فى عصر كانت المسيحية فيه
مضطهدة مغلوبة . ألم أقل إنها ظلت تخفى دينها
عن أبيها الوثنى الظالم . وإنها ظلت راهبة تأبى
الزواج حتى استشهدت عذراء فى سن
الخمسين .

(أهل الكهف)

الأميرة : إنك قلت لي مرة يا غالياس إنها سُمعت تقول كلما

أرغموها على الزواج إنها مرتبطة بعهد مقدس لن
تحدث به ...

غالياس : أصبت يا مولاتي .

الأميرة : ترى مع من هذا العهد المقدس ؟

غالياس : مع الله يا مولاتي . مع من غير الله تريدين ؟ ...

الأميرة : كنت أحسبه مع من اختراه قلبها .

غالياس : (مستكراً) حاشا لله يا مولاتي ! أستغفر الله !

أو يختار قلبها غير الله ؟

الأميرة : وما يمنع ؟ إن قلب المرأة يتسع دائماً لله وغير الله .

إنك لا تعرف قلب المرأة يا غالياس . لأنك
أحمق .

غالياس : مولاتي ! إني اطلعتُ على تاريخها كله .

الأميرة : (في تهكم) ولم تفهم منه شيئاً ، غير ما يمكن أن

يفهمه شيخ مثلك .

غالياس : إني أفهم الحقيقة . لقد كانت قديسة لا ريب

فيها . وبالأمس عثرت على سفر قديم ورد فيه أن
إحدى وصائفها كانت تسمعها دائماً تقول « إلى
أنتظر كل يوم ... وسأنتظر ولن أمل الانتظار
حتى يعود » .

الأميرة : رأيت ؟ من تنتظر ؟ من الذى يعود ؟
غالياس : المسيح يا مولاتي . تنتظر يوم عود المسيح من
السماء .

الأميرة : إذن كانت قديسة حقيقية ؟؟
غالياس : وهل في هذا شك !
الأميرة : لا شك أن هذه القديسة كانت تفضل أن تكون
امرأة ، لو أنها استطاعت .

غالياس : لا تتهمى يا مولاتي . أتوسل إليك أن لا تتهمى
على جدتك العظيمة ؟

الأميرة : (وهى تعبت بصليب فى عنقها) أصحيح يا
غالياس أن هذا الصليب الذهبى الذى أحمله فى
جيدى منذ الطفولة كان صليبها ؟

غالياس : نعم يا مولاتي . إنه إحدى مخلفاتها الثمينة . ويقال
إنها رأت في المنام ذات ليلة أن المسيح يقلدها إياه
فاستيقظت فوجدته في عنقها فبهتت وتملكها فرح
عصبي ظل ملازماً لها في فترات من حياتها حتى
ماتت .

الأميرة : إنها ماتت في هذا البهو يا غالياس .

غالياس : نعم . لقد كانت تحب العزلة دائماً في هذا البهو .
ولما احتضرت في حجرتها طلبت في النفس الأخير
أن تحمل تموت في بهو الأعمدة !؟

الأميرة : لماذا في بهو الأعمدة !؟

غالياس : من يدري يا مولاتي . من يدري ؟

الأميرة : إذن هنا . في هذا البهو عينه ؟ وربما في هذا الموضع
الذي نقف فيه الآن ...

غالياس : نعم ... هنا ... ماتت الأميرة القديسة بريسكا
منذ ثلاثمائة عام !

الأميرة : (بعد برهة صمت) ما أشد شغفي بخبر تلك

الأميرة ا

- غالياس : من يدري يا مولاتي ا قد تكونين أنتِ أيضاً كما
كانت وتصدق فيك نبوءة العراف ا
- الأميرة : (في تمهكم) أنا ... قديسة ا؟ كل شيء إلا هذا .
- غالياس : هذا ليس بكثير على ...
- الأميرة : كلا . لستُ أريد . ليس هذا حلمي ...
- (يسمع صوت في الخارج)
- الصوت : (في الخارج ينادى المؤدب) يا غالياس ا
- غالياس : (يستدير سريعاً ويهمس) الملك ا
- الملك : (يدخل) يا غالياس ا أسمعك الخبر ؟
- غالياس : نعم يا مولاي . خبر الكنز ...
- الملك : بل الأشباح .
- غالياس : (وكذلك بريسكا) : الأشباح ا؟
- الملك : (لغالياس) ألم تذهب إلى الغار مع الناس ؟ أين
كنت إذن ؟
- غالياس : كنتُ أصغى مع الناس إلى حكاية الصياد الذي

جاء بالخبر وكنث على وشك الذهاب معهم إلى الغار،
ولكنني فجأة تذكرت درس الأميرة .

الملك : لقد عاد هذا الصياد الآن يعدو على فرسه ويروي
عجياً : إنهم أبصروا بالغار ثلاثة مخلوقات مفزعة الهيئة
أشعارهم مدلاة ويلبسون ملابس غريبة ومعهم كلب
عجيب النظرات ، فولوا منهم رعبا ...

بريسكا : (خائفة) يا إلهي ! مخلوقات مفزعة ... ؟

الملك : لا تخافي يا بريسكا .

غالياس : (مفكراً) أمممكن أن يكون هذا ١؟ .

الملك : ماذا ترى يا غالياس ؟!

غالياس : ثلاثة رابعهم كلبهم ! مولاي ... أمممكن أن يكونوا
هم ١؟ .

الملك : من هم ؟

غالياس : (كمن يخاطب نفسه) نعم ... نعم ... ثلاثة
رابعهم كلبهم ...

بريسكا : من هم يا غالياس ؟

غالياس : ألم أحدثك يا مولاتي فيما حدثتك عن تاريخ عصر الشهداء أن فتية من أشرف الروم هربوا بدينهم من دقيانوس ولم يظهروا ولم يُعلم عنهم شيء، وقد لبث معاصروهم ينتظرون أوبتهم وينشئون عنهم الأساطير مؤكدين عودتهم ... ولقد قرأتُ كتاباً قديماً تنبأ بيوم يظهرون .

الملك : هذا ما قاله شيخ كان بين الناس في الغار على رواية الصياد .

بريسكا : (في خوف وحب استطلاع) ماذا قال هذا الشيخ يا أباي ؟

الملك : قال للناس عندما رأهم ورأى لباسهم إنهم ليسوا بأشباح موتى ؛ لأن آباءنا وأجدادنا حدثونا عن فتية من أصحاب دقيانوس هربا منه ولحق بهما راع وكلبه وأنهم اختفوا ولكن سوف يظهرون ، وكلما جاء عصر ، ذكرهم الناس وانتظروهم ...

بريسكا : ولكن يا أبتى ... ها قد أوشك أن ينساهم الناس في

عصرنا هذا !

غالياس : أجل يا مولاتي ... إن القديسين لا يظهرون إلا في
عصر يُنسَوْنَ فيه ..

الملك : أتؤمن إذن بهذا يا غالياس ؟

غالياس : (في حماسة وفرح) كل الإيمان يا مولاي . نعم ،
الآن لا ريب عندي في أنهم هم ولقد أظهرهم الله في
عصرك السعيد يا مولاي لأنك مسيحي مؤمن بإله
واحد ولأن عصرك عصر المسيحية الزاهرة .

الملك : (في فرح) ما أسعد حظي لو أن ما تقول صحيح !

غالياس : (في فرح كذلك) صحيح يا مولاي . هم . هم .

ثلاثة رابعهم كلهم : القديس مرنوش ، والقديس
مشلينيا ، والقديس يميلخا ، والكلب قطمير ، كما جاء
في كتاب الراهبين .

بريسكا : (في شبه رهبة) هذا عجيب ! هذا عجيب يا

غالياس ! إني لا أستطيع أن أتخيل هذا الذي تقول ...

غالياس : (مستمراً في فرحه وحماسه) إني حدثت منذ أن

وصف الصياد هذا الرجل الغريب الذى طلع عليه
وأبرز له قطعة الفضة المضروبة باسم دقيانوس . أما
الآن وقد علمت أنهم ثلاثة لا واحد ورابعهم كلهم ،
فقد انطبقت أوصافهم على ما جاء فى التاريخ فلا محل
للحدس والريب .

بريسكا : (فى خوف وحب استطلاع) ولكن أين كانوا ؟

وهل لبثوا أحياء طول هذا الزمن ؟

الملك : (مصادقاً) نعم يا غالياس أجب ! أتعتقد أنهم مكثوا

بالغار أحياء أكثر من ثلاثمائة عام !!

غالياس : (بعد تفكير) ولم لا ؟ من يدري ؟ ألم ييلسفك

يا مولاي ما جاء بكتب الهند ؟

الملك : ماذا ؟ ...

غالياس : قصة فى جزر اليابان تدعى قصة أوراشيما .

الملك : وما دخلها فيما نحن فيه ؟

غالياس : إنها تشبه قصة هؤلاء الفتية ، ويظهر أنها وقعت حقيقة

يا مولاي ، لأن سكان تلك البلاد يؤمنون بها إيماننا

بقصة فتية الكهف .

الملك : وهل ظهروا عندهم كذلك بعد اختفاء طويل ... ؟
غالياس : أجل يا مولاي . مدوّن في التقاويم الرسمية للملوك تلك
البلاد أنه في السنة الحادية والعشرين من حكم الميكادو
« يورياكو » خرج الفتى الصياد « أوراشيما » من
إقليم « يوشا » للصيد في قاربه ولم يعد . ولبت —
دون أن يُسمع عنه خبر — مدى حكم واحد وثلاثين
ملكا وملكة ، أى مدى أربعة قرون ... وعندئذ تقول
التقاويم الرسمية إنه في أثناء حكم الميكادو « جونجو »
ظهر الفتى « أوراشيما » ... غير أنه ذهب وشيكا
مرة أخرى ... ولا يعلم أحد إلى أين ذهب .

بريسكا : (مأخوذة ، ثم بعد لحظة) وأين كان هذا الفتى
الصياد يا غالياس أثناء القرون الأربعة ؟!

غالياس : لست أدري يا مولاتي . هذا مبلغ علمي يتلك
القصة ...

بريسكا : إنك دائماً كذلك يا غالياس سطحى العلم !

غالياس : (مستاء) مولاي ا بل هو ذكاؤك الذي لا يقنع
بشيء ...

الملك : (متفكراً) عجباً يا غالياس ا إذن في تلك البلاد أيضاً
يعتقدون في عودة من يختفى بعد هذا القدر الهائل من
السنين ١٢

غالياس : نعم يا مولاي . ولعل لكل جنس من أجناس البشر
قصة كهذه ...

الملك : إذن لا ريب عند الناس في أن من ذهب سوف يعود ١٢
غالياس : نعم يا مولاي . ومن مات سوف يبعث . تلك قصة
البشرية الخالدة ، وإذا كانت القصة ضمير الشعب كما
يقولون ، وإذا كانت البشرية قاطبة على اختلاف
أجناسها وأجياها قد اتحدت وتلاقت في قصة واحدة .
أفيمكن يا مولاي لضمير البشرية قاطبة أن يخطيء ١٢

الملك : (يفيق من تأمله) إذن ماذا تنتظر يا غالياس ؟ لم لا
تذهب إلى الغار فتأقي بهؤلاء القديسين ضيوفاً كراماً

على قصرنا !

غالياس : (في حماسة) أصبت يا مولاي . أشهد أن ليس في ملوك الروم المسيحيين من هو أشد تقوى ومسيحية منك !

الملك : (يستطرد في حماسه) لماذا لم تبلغ الرهبان ورجال الدين كلهم كى يقوموا بالشعائر والطقوس والمراسم بما لم يسبق له مثيل . إنها لمناسبة تاريخية لا يمكن أن يرى نظيرها دهر من الدهور .

غالياس : أصبت يا مولاي ، أصبت أيها الملك المؤمن . نعم فلنذهب يا مولاي ... فلنذهب ...

(تسمع ضجة خارج البهو)

بريسكا : ما هذا الضجيج ؟

الملك : انظر يا غالياس ما الخبر ؟ (غالياس يخرج سريعاً ملياً) .

بريسكا : (للملك) أبت أو لم تزمع حقيقة إنزال هاته المخلوقات القصر ؟

الملك : أى مخلوقات يا بريسكا ؟

بريسكا : (فى خوف) أصحاب القصة . هؤلاء الأشباح الذين
ملأوا من رأوهم رعباً .

الملك : أنتِ خائفة ؟

بريسكا : (فى خوف) نعم .

الملك : (ملاحظاً) هدنى روعك يا بريسكا . إنهم مثلنا فى
كل شىء . سترين . لا شك أن الوهم هو الذى أخاف
الناس منهم .

بريسكا : (خائفة) إنى لن أستطيع النوم يا أبت كلما ذكرتُ أن
هذا القصر يحتوينى أنا وأشخاصاً خرافيين جرت بهم
الأساطير منذ القدم .

الملك : كلا يا ابنتى . هم ليسوا أشخاصاً خرافيين . إنما هم
قديسون . وإن وجود هؤلاء القديسين بيننا لشرف
عظيم وبركة كبرى .

غالياس : (يدخل مهرولاً صائحاً معلناً) هم يا مولاي !

هم .. هم .. !

- الملك : (مفاجاً يرتبك) من ؟ .
غالياس : أهل الكهف ...
بريسكا : (في صيحة خوف خافتة) آه ...
الملك : (في رعدة) كيف ... كيف يا غالياس ! كيف
جاءوا ؟ .
غالياس : جاء بهم إليك رهط من الناس يا مولاي .. ولعلمهم
اجتازوا الآن باب القصر ...
بريسكا : (في خوف) غالياس ! تعال إلى جانبي ! لا
تتركني ...
غالياس : (في حماسة) فلنستقبلهم يا مولاي . فلنستقبلهم
أحسن استقبال .
الملك : (بلا حراك) نعم فلنستقبلهم ...
بريسكا : أبت ! لا تستقبلهم ! إنك خائف ! صوتك يتهدج
فرقا .
الملك : أنا ؟
بريسكا : نعم ! أقسم أنك خائف .

غالياس : مولاتي . إن الملك مؤمن ، والمؤمن لا يخاف
القديسين .

الملك : صدقت يا غالياس ، صدقت . (الضجة تدنو
منهم) . (في اضطراب خفيف) اسمع ! ها هم
أولاء ...

غالياس : فلا هرعن إذن إليهم ..

بريسكا : (تستوقفه) بل ابق هنا كما قلت لك .

(يسمع صوت مشلينا قادمًا)

مشلينا : (صائحًا في الخارج) لم يتغير شيء يا يملبخا ! ها هو
ذا بهو الأعمدة كما تركناه أمس !

مرنوش : نعم بهو الأعمدة لم يتغير ...

يملبخا : (في صوت كالعويل) كل شيء تغير ، كل شيء

تغير ... !

(ثم يظهرون بشعورهم المدلاة ، ولحاهم الطويلة

وثيابهم القديمة ، يحيط بهم رجال القصر وجنود

الملك) .

- بريسكا : (لا تكاد تراهم حتى تصيح صيحة مكتومة ،
وتتمسك بأهداب ثوب غالياس) رباہ ! ...
- مشلينيا : (لا يكاد يرى الأميرة حتى يصيح صيحة خافتة غير
متالك) بريسكا ! .
- بريسكا : (في رهب تحتمى بغالياس) آه . أسمعت ؟ قد لفظ
انمى .
- غالياس : (همساً) أرأيت ؟ إنه قديس .
(الصياد يتقدم إلى الملك المأخوذ)
- الصياد : مولاي ! لقد أتينا بهم من الكهف ليفصل الملك بنفسه
في حقيقة أمرهم .
- مرنوش : (غامزاً مشلينيا وهامساً في أذنه) ! هذا ولا ريب
خليفة دقيانوس .
- مشلينيا : (لا يحس وجوداً غير وجود الأميرة) بريسكا ؟
- بريسكا : (في خوف) إنه ينظر إلى نظرات غريبة ...
غالياس ! لا أستطيع البقاء هنا .
- (تجذب مؤديها وتخرج معه من باب قريب دون أن

يشعر بها أحد إلا مشلينيا وهو دهش كأنه في
حلم) .

الملك : (يتجلد ويتقدم إليهم قائلا في صوت متغير بعض
الشيء) لقد نزلتم على الرحب أيها القديسون . إننا قد
انتظرناكم طويلا كما انتظركم من قبل أجدادنا وأجداد
أجدادنا ، وإنه لحقا لشرف عظيم أن ...

يمليخا : (الذي ما انفك يتأمل ما حو اليه بأعين زائغة مرتاعة
يهمس لمرنوش) انظر إلى ملابس هذا الملك وهؤلاء
الجنود ، في أى بلد نحن ؟ ...

الملك : (يستطرد) نعم إنه لشرف عظيم أن تخصوني بهذا
الفخر وتظهروا في عصرى دون عصور أجدادى
المسيحيين .

يمليخا : (هامسا في دهشة لمرنوش) هذا الملك مسيحي !

مرنوش : (وهو يسكته) ألم تفهم غير هذه الكلمة ؟

الملك : (للصيد) وأنت أيها الصيد الذى دلنا على مكانهم
الكريم ... سأ كافئك . نعم أيها القديسون ! إننا كنا
(أهل الكهف)

نتنظر هذه اللحظة المجيدة ؛ لحظة ظهوركم منذ أمد
طويل كما هو مدون في التواريخ .

مرنوش : (هامساً وكأنما يخاطب نفسه) هذا الملك مجنون !
الملك : إن قصرى — إن شئتم — منزلكم ومساواكم وكل
حوائجكم مجابة ، وكل أوامركم مطاعة وليس لنا من
مطمح غير خدمتكم ورضاكم .

بليخا : (همساً لمرنوش) ألم أقل لكم إن الله حق . إن
الشهر الذى مكثناه فى الغار قد حدث فيه العجب
العجاب . (مرنوش لا يسمع له ، ومشلينيا
مشغول بما هو فيه من أمر الأميرة) .

مرنوش : (يلتفت إلى الملك مجيئاً) مولاي ! كم أحمد الله على
هذه المعجزة الحقة . إذ أهلك دقيانوس الظالم فى طرفة
عين ، وأخلفك على العرش فى الحال . وكنت أود أن
أطنب فى شكر الله على توليتكم بين عشية وضحاها
ملكاً على أفئدتنا أجمعين ، لو لم تكن لى حاجة ملحة لا
أستطيع عنها صبراً لحظة واحدة ... (الملك يبهت

قليلاً) أن يأذن لي الملك في الانصراف على الفور . إن
امرأتى وولدى ينتظران أوبتى في قلق منذ أسبوع وربما
أكثر من أسبوع ...

يمليخا : (هامساً لمرنوش) إني خائف من هذا القصر ! (ثم
يلتفت كذلك إلى الملك في صوت مضطرب) وأنا
كذلك يا مولاي لي غنم ترعى الكلا في مكان لا يعلمه
سواى .

مرنوش : (في إلحاح) أتأذن يا مولاي ؟
الملك : (مأخوذاً مرتبك يسحث عن غالياس حوله)
يا غالياس ! يا غالياس !

مرنوش : كلا ! لا لزوم يا مولاي . إني أعرف الطريق إلى بيتى
(ينحنى ويخرج حالاً ... ويتتيز يميلخا الفرصة
ويخرج في إثر مرنوش . أما مشلينا فيبقى ويخرج من
تأمله ويتقدم إلى الملك) .

مشلينا : مولاي ! إني لست نخليقا بالمشول بين يديك والتحدث
إليك الآن ، وأنا على ما ترى من سوء الحال . أياذن لي

مولاي قبل كل شيء في الذهاب إلى حجرتي أغبر
ملابسي هذه وأحلق شعري الأشعث ، ولحيتي
الطويلة ؟

الملك : (في دهش) يا غالياس !..

مشلينيا : كلا . لا لزوم يا مولاي . أنا كذلك أعرف حجرتي
في هذا القصر ، فليعذرني مولاي ! إني ما انتهت إلى
رئاسة هيئتي إلا الساعة . هذا ولا ريب قد نفر الأميرة
الآن فلم تردّ عليّ نحتي .. (يخرج من البهو تاركا
الملك ومن معه جامدين في دهشة عظيمة) .

الملك : (يتحرك قليلاً نحو باب قريب منه) غالياس !..

غالياس : (من الخارج) مولاي ! (ثم يظهر مسرعاً) ها أنذا
يا مولاي ! إن مولاتي الأميرة أبت عليّ مفارقتها في
هذه الآونة ... (ينظر إلى الملك الساهم) ما بك يا
مولاي ؟ (يلتفت حوله باحثاً) أين القديسون ؟

الملك : (يتبه وقبل أن يكلم غالياس يلتفت إلى الحاضرين
الساهمين كذلك فيأمرهم بالانصراف مشيراً

بيده) .

غالياس : (بعد أن ذهب الجميع ولم يبق غيره والملك يسأل في

قلق) أين القديسون !؟

الملك : القديسون !؟

غالياس : نعم ، أين هم ؟

الملك : أتصغى إليّ يا غالياس ؟

غالياس : بالطبع يا مولاي .

الملك : (همساً) هؤلاء القديسون مجانين .

غالياس : (يبهت) مجانين ! اللهم غفرا ؟ وأين ذهبوا يسا

مولاي ؟ .

الملك : ذهبوا ... أحدهم إلى بيته ..

غالياس : بيته !؟

الملك : هكذا قال ! والثاني إلى غنمه التي ترعى الكلاً ..

غالياس : والثالث ؟

الملك : الثالث راح يخلق ...

(لا يكاد المؤدب يفتح فاه عجباً حتى تسمع

صیحات هلع نسوية خارج البهو .

غالیاس : ما هذا ؟

الملك : هذا هو ثالثهم ... انطلق فی القصر علی ما أرى یرعب من صادفه من الحاشية . أسرع إلیه یا غالیاس وقُده إلی منزل الضیوف وأوص به الخدم والعبيد . (المؤدب یمخرج سریعاً ویتهیأ الملك للانصراف ، وإذا مرنوش یمظهر بفتة أمامه عائداً وحده) . ربّاه !

(یتراجع) . إلیّ یا غالیاس !

مرنوش : مولای ! أتأذن لی بكلمة . إنك قلت الساعة إن حاجاتنا عندك مقضية ، وقد أذنت لی الآن فی الذهاب إلی بیتی . غیر أنى عند خروجی تذكرت أنى سأدخل علی امرأتى وولدى خالى الوفاض وهما یحسبان أنى علی سفر هذا الأسبوع . وتذكرت أنى منذ عام كان قد أوفدنى دقيانوس إلی الأقالیم ، فغبت عن بیتی أربعة أيام ، فلما عدت حملت معى إلی ولدى من الهدایا ما سرّ به سروراً . حتى إنه قال : « لیتك تسافر

كل يوم يا أبتى « ولا ريب عندي أنه يتعزى عن غيبتي
بما يحسبني سأحمله إليه من هدية ، وليت معى نقوداً يا
مولاي غير نقود دقيانوس هذه التى بطل اسعمالها منذ
ولايتك الميمونة .

الملك : (يتجه إلى الباب الذى خرج منه المؤدب)
غالياس ! .

مبرنوش : (متأملاً المكان ثم ثياب الملك) مولاي ، أصبت
والله بتعجيل هذا التغيير فى الملبس والمظهر عما كان
عليه الحال فى حكم الوثنى دقيانوس ، حتى يتميز
حكمتك المسيحى عن حكمه ... نعم ما أحسن
ملابس الناس الآن ، ولكن أعجب من ذلك أن يتم لك
هذا كله فى بضعة أيام . ثم هذا الطريق الذى ساروا بنا
فيه اليوم من الكهف إلى القصر ؛ لقد تغير كثيراً وليس
حلة من التنسيق لم تكن عليه الأسبوع الماضى ...

الملك : (متلفتاً إلى الباب) يا غالياس ، أقدم يا غالياس .
غالياس : (من الخارج) لييك يا مولاي ! . (يدخل مهرولاً)

مولاي ا

الملك : (يشير إلى مرنوش) إنك تستطيع أن تفهم ما يقول
القديس !

غالياس : (يلتفت إلى مرنوش وينحني في خضوع وخشوع)
يا من تظله هالة النور ! لقد ظهرت على الرحب بعد
طول انتظار ، قضته الروم في قلق ترقب عودتكم ، لا
تقنط ولا تمل ، وقد ربط الله على قلبها بالإيمان ...

(مرنوش يتفرد في غالياس مرتاباً بعقله ، ولكن
غالياس يمضي قائلاً :) غير أن الجميل في هذا أن
يكون ظهوركم في عصرنا نحن . كأنما قد خصصتم
مليكننا السعيد دون من سبقوه وآثرتم شعبه الكريم
بشرف مراكم العظيم ...

مرنوش : (لنفسه) أقسم بالمسيح أن هذا معتوه !
الملك : (هامساً للمؤدب) كل هذا قلته أنا قبلك . سله عما
يريد الآن .

غالياس : يريد ؟ وهل يريد إلا العزلة والخلو إلى الله !

يا مولاي ؟ فلأفعلن به ما فعلت بصاحبه ، أسير به
إلى منزل الضيوف وأوصى به الخدم والعييد أن يعنوا
بقضاء حاجاته ويأتمروا بأوامره المقدسة .

(لمرنوش) هلم يا صفى الله !

مرنوش : (لا يتحرك) إلى أين ؟

غالياس : إلى صومعتك الشريفة ... (يريد أن يأخذ بيده) .

مرنوش : (يدفعه عنه ويلتفت إلى الملك) مولاي ... أو تترك

على هذا المجنون ! (الملك وغالياس يتبادلان

النظرات ويدنو أحدهما من الآخر) مولاي ! إلى

أنتظر أمرك لأذهب إلى بيتي .

الملك : (هامساً) أسمعت يا غالياس ... أسمعت .. ؟

مرنوش : (فى تردد) وإني أنتظر ... برك بعبدك الأمين وبيته .

الملك : (هامساً) ما تقول فى هذا يا غالياس ؟

غالياس : (يتقدم متشجعاً إلى مرنوش) أيها القديس ! إنسا

نعرف أين بيتك .. لكن نسألك ضارعين ألا تفارقنا

إليه الساعة .

مرنوش : (دهشاً) تعرف أين بيتي ا
غالياس : (يلتفت إلى الملك في شيء من الزهو كأنما استطاع
أخيراً أن يتصل بالقديس) نعم ا وهل يجهل مثلي
مكانه ؟

مرنوش : (متعجباً) عجباً ا وكيف استطعت أنت أن تعرف
مكانه ، ولم أبح قط بسر بيتي لغير الأخصاء ا؟
غالياس : أو لست من الأخصاء يا صفى الله وأنا الذى ابيض
شعره فى ذكركم ا

مرنوش : أنت أيها الرجل ؟؟ إني لم أرك إلا اليوم ا؟
غالياس : نعم . هذا شرف عظيم ما كنت أحلم به يوماً ، وأنا
أذكركم وأرقب عودتكم وأطلب القرى من سر
بيتكم .

مرنوش : سر بيتي ؟ أخبرني كيف عرفت هذا السر .. أريد أن
أعرف من أخبرك بسر بيتي ؟
غالياس : (فى صوت عميق حار) الإيمان .

مرنوش : اسمع أيها الشيخ ا سواء أكان الإيمان كما تقول أم غيره ،

أريد الآن أن أعرف منك أين بيتي ؟ في أى موضع ؟
إن كنت صادقاً ، في أية ناحية ؟ في أية جهة ؟..

غالياس : (في صوت عميق) في السماء .

مرنوش : (ناظراً إلى الملك وكأنما يخاطب نفسه) ألم أقسم بأن
هذا الشيخ مصاب في عقله !

الملك : (همساً للمؤدب) ابق أنت هنا يا غالياس .
(يتحرك الملك)

غالياس : (همساً) أتذهب يا مولاي وتتركني ؟...؟

(يهيم الملك بالذهاب وإذا بصوت مختنق يدنو ،

ويبدو يملحاً فجأة فيرتد الملك إلى جوار غالياس) .

يملحاً : (داخلاً في حال مضطربة) مرنوش ! مشلينيا ! أين
أنتما ؟ (يقع على ركبتيه بجوار مرنوش) .

مرنوش : (دهشاً) ماذا دهاك ؟

يملحاً : (يشير إلى الملك وغالياس) ويلاه ! أكنت تخاطب

هذه المخلوقات ؟ !

(الملك و غالياس يتبادلان النظر ويرتدان حتى يبلغا
أقرب باب) .

مرنوش : أجننت يا يملیخا ؟ (يشير له إلى الملك و غالياس)
هذا الملك و هذا الشيخ المعتوه . (عندئذ يخرج الملك
والمؤدب في رفق من الباب و يتسركان
القديسين !!) .

یملیخا : أين مشلینیا ؟ أين مشلینیا ؟

مرنوش : ما بك يا يملیخا ؟

یملیخا : ادع مشلینیا علی عجل ! ولنذهب .. ولنذهب ...

مرنوش : إلى أين نذهب ؟

یملیخا : إلى الكهف . ثلاثتنا و قطمیر معنا كما كنا .

مرنوش : لماذا ! ماذا فعلت ؟ ماذا حدث ؟

یملیخا : إلى الكهف . ثلاثتنا و قطمیر معنا كما كنا .

مرنوش : لِمَ يا يملیخا ؟ أجب .

یملیخا : هذا العالم ليس عالمنا ... هذا ليس عالمنا .

مرنوش : ماذا تعنى ؟

- يمليخا : أتدرى كم لبثنا في الكهف ؟
مرنوش : أسبوعاً . (يملبخا يضحك ضحكات عصبية هائلة)
شهرأ على حسابك الخرافى ؟
يمليخا : (على نحو مخيف) مرنوش ، إنا موتى إنا أشباح ..
مرنوش : ما هذا الكلام يا يملبخا ؟
يمليخا : ثلاثئة عام ! تخيل هذا ؟ ثلاثئة عام لبثناها في
الكهف !!
مرنوش : مسكين أيها الفتى !
يمليخا : هذا الفتى عمره نيف وثلاثئة عام ! لقد مات دقيانوس
منذ ثلاثئة عام ! وعالمنا باد منذ ثلاثة قرون !
مرنوش : عالمنا باد ؟ وأين نحن إذن ؟
يمليخا : هذا الذى نرى دنيا أخرى ليست لنا بها صلة .
مرنوش : أشربت شيئاً يا يملبخا ؟
يمليخا : لستُ بشارب ولا بمجنون . إنى أقول لك الحقيقة .
اخرج وطف بهذه المدينة وأنت تفهم .
مرنوش : أفهم ماذا ؟

يمليخا : تفهم أننا لا ينبغي لنا أن نمكث بين هؤلاء الناس لحظة واحدة .

مرنوش : ما الذى يخيفك من هؤلاء الناس يا يمليخا ؟ أليسوا بشراً ؟ أليسوا من الروم ؟

يمليخا : كلا ، إتهم ناس لا يمكن أن تفهم من هم ولا يمكن أن يفهموا من نحن ..

مرنوش : وما يضريك ؟ تجنبهم وامكث بين أهلك ..
(متذكرا) ولكنك ذكرت لنا أن ليس لك أهل
يا يمليخا .

يمليخا : وإن كان لى أهل . فهل تحسبني واجدهم بعد ثلاثائة سنة ؟!

مرنوش : (فى رعدة) ماذا تقول أيها الشقى ؟!

يمليخا : (فى صوت كالعويل) أجل . إننا أشقياء ..
أشقياء .. نحن ثلاثتنا وقطير معنا . لا أمل لنا الآن فى
الحياة إلا فى الكهف . فلنعد إلى الكهف . هلم يا
مرنوش ! ليس لبعضنا الآن سميع ولا مجيب إلا

البعض . هلموا بنا . رحمة بي ! إلى أموت إن مكثت
هنا .

مرنوش : أنت جننت أيها المسكين !

يمليخا : لست بمجنون ... إلى الكهف .. الكهف كل ما نملك
من مقر في هذا الوجود ! الكهف هو الحلقة التي تصلنا
بعالمنا المفقود !

مرنوش : (مفكراً في اضطراب) أيستطيع العقل البشري
تصور ما تقول !. إنك ولا ريب صادفت من لعب
بك ، أو شبه لك .

يمليخا : لم يشبه لي ، لقد سمعت الناس بأذني تقول ذلك .
وهذا كل ما فهمت منهم .. من هذه المخلوقات .
وأنت يا مرنوش ! أفهت من هذه المخلوقات شيئاً ؟
أجب ! ثم هذه الملابس العجيبة ، وهذه التغييرات ،
والمدينة المقلوبة رأساً على عقب . اخرج وانظر !
مدينة طرسوس لن تعرفها ولن تتبينها .

مرنوش : (يتفكر لحظة) صدقت قليلاً في هذا .. لكن ..

يمليخا : لكن ماذا ؟ أليست لنا عقول ؟ إن هذا التغيير كله والتبديل في كل شيء حولنا لا يمكن أن يحدث في شهر ولا في عام .

مرنوش : حقيقة لست أفهم كثيراً ...

يمليخا : رأييت ؟ إنك لم تفهم شيئاً مما حولك . لأن بيننا وبينهم ثلاثمائة عام !

مرنوش : ثلاثمائة عام ؟

يمليخا : نعم ...

مرنوش : ما تقول يا يمليخا لا يمكن أن يتخيله عقل بشر . وإني لأتساح إذ أعدك بعد عاقلاً ، وأنت تقول جاداً هذا الكلام . أتستطيع حقاً أن تعتقد أننا نمنا في الكهف أكثر من ثلاث ليال ؟

يمليخا : إننا نمنا أكثر من ثلاثمائة سنة .

مرنوش : صه ! كفى ...

يمليخا : لقد دهشت مثلك يا مرنوش . لكنه الواقع . وعمّا قليل يثبت لك أننا لبثنا في الكهف هذا القدر من الأعوام .

مرنوش : أيتها السموات ، أعطيني العقل الذي أستطيع به تصور ما يتفوه به هذا المغرور ! إنك جننت يا يملیخا . هذا كل ما في الأمر .

یملیخا : إني أروى الحقيقة .

مرنوش : (يتفكر في جهد) إنك ستجنني معك . كلاليس في طاقة رأسي تصور هذا . فليبلغ ما بيننا وبينهم ما بلغ . ماذا تريد الآن ؟

یملیخا : الكهف !

مرنوش : أتريد أن ندفن أنفسنا أحياء في الكهف ؟

یملیخا : نعم فلنذهب إلى عالمنا ...

مرنوش : اذهب أنت .

یملیخا : وأنت يا مرنوش ؟

مرنوش : أنا لي أهل وبيت وولد ينتظرونني . (يملیخا يضحك

ضحكة رهيبة) ما يضحكك هكذا ؟ أبك مس ؟

یملیخا : ثلاثمائة عام ! أنسيت ؟

مرنوش : (في ضيق) نعم ثلاثمائة عام . فلتكن قلت لك ثلاثمائة أو

(أهل الكهف)

أربعمائة عام ! ماذا يضيرني ؟ وماذا يغير هذا من حياتي ؟ إننا الآن أحياء . أتتكر أيضاً أننا أحياء في هذه اللحظة ؟ وأنا خرجنا من الكهف أحياء بعد تلك الليلة الهائلة ؟

يمليخا : إنها ليست ليلة واحدة — قلت لك — بل أعواماً .
مرفوش : (يصيح) إن لي عقلاً قبل كل شيء . إن لي عقلاً !
ها هو ذا في رأسي أحس وجوده . وهذا الكلام الذي تقول ينكره هذا العقل .

يمليخا : (يسمع حركة فيجفل) من القادم ؟ إنهم آتون .

مرفوش : (ناظراً إليه) لماذا تخاف منهم هكذا ؟

يمليخا : (كالهامس) لست أحبهم .

مرفوش : الآن ، لا ريب عندي أن ليلة الكهف المخيفة قد أثرت

في عقلك يا يمليخا !

(يظهر مشلينيا وقد حلق لحيته وشاربه ، وارتدى

ثياباً كثياب العصر وغدا فتى جميلاً) .

يمليخا : (ممسكاً بمرفوش خوفاً ومشيراً إلى مشلينيا) هذا

واحد منهم ، انظر ...

مرنوش : (ملتفتاً) من هذا ؟

مشلينيا : (باسمياً) عجباً ! ألم تغيرا بعد ما أنتما عليه من هيئة

زرية وثياب أثرية ؟

مرنوش : (محققاً فيه) هذا أنت يا مشلينيا ؟

مشلينيا : (باسمياً) كما ترى . (يلمس أطراف ثوب

مشلينيا مستطلعاً) أيعجبك الثوب يا يميلخا ؟

مرنوش : (وهو يستطلع كذلك ويتأمل مشلينيا) حدثنا

كيف استطعت أن تنقلب هذا المنقلب ؟

مشلينيا : (باسمياً منشرحاً) الأمر بسيط . طلبت إلى الخدم

والعبيد أن يأتوني بموسى أحلق ذقنى وشعري فلبوا

الأمر ... ولكن ...

مرنوش : ولكن ... ؟

مشلينيا : ولكن طفقوا يتغامزون ويتلامزون ، وكان بهم رهبة ،

فصرت بهم الأطفهم وأستدرجهم وهم فرقون ، حتى

استطعت أخيراً أن أعلم منهم العجب العجاب .

أتدريان كم لبثنا في الغار ؟

مرنوش : أعلمت أنت أيضاً ؟

مشلينيا : أو تعلمان ؟

مرنوش : (في تودد) ثلاثاً ، أم أكثر ؟

مشلينيا : من أخبركما ؟

يمليخا : (صائحا بمرنوش) رأيت ؟ أصدقني الآن ؟

مرنوش : (لمشلينيا) أو تستطيع أن تتخيل هذا يا مشلينيا ؟

مشلينيا : لقد اتهمتهم بالجنون .

مرنوش : (ليمليخا) أسمعت أيها الراعي ؟

يمليخا : (في قوة) أقسم بالمسيح ...

مشلينيا : لا حاجة لنا بقسمك . إني مصدقك يا يمليخا ، كما

صدقتُ أخيراً أولئك العبيد .

مرنوش : أو صدقت ؟

مشلينيا : ولم لا أصدق ؟ كل شيء سواء ما دامت هي ...

مرنوش : أصبت . وماذا صنعت بعدئذ ؟

مشلينيا : لا شيء . طلبت إليهم أن يأتوني بثياب حديثة

وأسرعت فخلعت ثيابي العتيقة .

مرنوش : حسنا فعلت . إن من السهل أن ألحظ ما أوحى إليك
بهذا التزين والتجمل أيها الخبيث ! كل هذا من
أجل ...

مشلينا : (في فرح) أرايتها يا مرنوش ؟ إذ كانت هنا الساعة ؟
مرنوش : نعم ... (يشرد لحظة ثم يقول) أنا كذلك يا مشلينا
أحب أن أفعل فعلك .

مشلينا : (باسمها) تريد التزين والتجمل !!
مرنوش : بل شيئا من النظافة وحسن الهيئة أدخل بهما على أهلي .
مشلينا : (ملتفتا إلى الراعي) ويمليخا كذلك ؟
يمليخا : (في صوت باك رهيب) دعا يمليخا في شأنه ... أيها
الفتيان ! إن يمليخا عمره ثلاثمائة عام !!

مشلينا : مسكين يا يمليخا ، ونحن إذن ؟

يمليخا : أنتما محبان .

مشلينا : أو ليس للمحب عمر ؟

مرنوش : (لمشلينا) دع يمليخا كما قال لك . لمن تريده يلبس

ويتزين ؟

مشلينيا : صدقت ، إنه لا أهل له .

يمليخا : (ذاهبا في كآبة) أستودعكما الله والمسيح !

مشلينيا : إلى أين ذاهب ؟

يمليخا : (ذاهبا في كآبة) إلى الكهف .

مشلينيا : ويحك ! ماذا تصنع في الكهف ؟

مرنوش : إن يمليخا يزعم أن الحياة مستحيلة بين هؤلاء الناس .

مشلينيا : (ملتفتا إلى يمليخا) لماذا ؟

مرنوش : ويزعم أننا لا يمكن أن نتصل بهم ولا أن يتصلوا هم

بنا ...

مشلينيا : ماذا دهاه ؟

مرنوش : بل أكثر من ذلك ... يرهبهم وينظر إليهم كأنهم

مخلوقات عالم آخر ... ويتصور هذه المدينة دنيا لم

يسبق له بها عهد ...

مشلينيا : (ليمليخا الصامت المطرق) لماذا كل هذا يا يمليخا ؟

(يمليخا لا يجيب) .

مرنوش : وهل لهذا من سبب إلا أنه مخرف أحق !
مشلينيا : لماذا يا يميلخا لا تنظر إلى الحياة وإلى الأشياء كما ينظر إليها
نحن ؟ أترهبك كلمة ثلاثمائة سنة ! فليكن مبلغها ما
يكون . إننا في الحياة قبل كل شيء . إننا نعيش ونحس
ونشعر ...

مرنوش : هذا عين ما قلته له . إننا نحس ونشعر ونعقل . وليس
لدينا العقل الذى يصدق أن ليلة الكهف تمخضت
وولدت ثلاثمائة عام . وإذا كان هو يملك هذا العقل
فعقله ولا ريب من طراز آخر أدق من طراز عقولنا !
مشلينيا : أجبتى يا يميلخا ! ما الذى يجعلك تختلف هنا في هذا ؟
ومع ذلك ، هب أننا نمنا ما شئت من أعوام ؟ فماذا
يغير هذا من حياتنا الآن ؟ ألسنا في الحياة ... نحمل
قلوبا وآمالا ؟

مرنوش : فلنتفكر معا قليلا يا مشلينيا ! أيمكن لأى عقل أن
يتصور هذا ؟

مشلينيا : مستحيل !

مرنوش : وإن ظهر أن هذا حقيقي ، أليس معناه الجنون لنا
جميعا ؟ اعترف !

مشلينيا : أعترف أن لا شيء يستطيع أن يغير من حياتي الحاضرة
أو المستقبلية .

مرنوش : ولا أنا كذلك .

مشلينيا : وأنت يا يميلخا ؟ ماذا يغير أمر كهذا من حياتك ؟
ولماذا يختلف الآن إحساسك بالحياة عن إحساسنا ؟
(يميلخا لا يجيب) يميلخا ؟ ألا تسمعني ؟ ألا تجيب
عن سؤالى ؟

يميلخا : بالله لا تسألنى الآن شيئا .

مشلينيا : لماذا ؟

مرنوش : تكلم يا يميلخا !

يميلخا : (فى حدة) قلت لكما لا تسألانى الآن شيئا (بعد
لحظة بينا ينظران إليه فى وجوم) لقد صرتما أنتما
غريبين عنى منذ قليل . أنتما البقية الباقية بعد أن مضى
كل شيء كحلم . وانطفأت عصور وأجيال فى شبه

ليلة واحدة . آه لو تعلمان أيها الأعميان ما رأيت الآن
في شارع بطرسوس إن كانت هذه بعدُ مدينة
طرسوس ! لو رأيتاني وقد أحاطت بي ناس في ثياب
غريبة وعلى وجوههم ملاح عجيبة وهم ينظرون إليّ
نظرات كاد قلبي ينخلع منها . وكأنهم يتفحصون
أمرى تفحص من يحسبني من عالم الجن . وأينما سرْتُ
فهم في أثرى بنظراتهم المستطلعة الحذرة . لا أستطيع
مخاطبة أحد منهم ؛ وإن فعلت فلا أحسبني أجد مجيباً
بل نظرات صامته فزعة . يخيل إليّ أني أموت جوعاً
قبل أن يمد إليّ أحدهم يده بطعام . إنهم يظنونني
ولا ريب من خلقة لا تأكل ولا تشرب ... ولا شك
أنى إن أردت سكنا فلن يسكننى أحد بجواره .
وإن هبطت مكاننا فالكل هاربون وتاركوه لي
لينظروا إليّ عن كذب بعيونهم المستطلعة الحذرة التي
لا تتغير نظراتها ... بل إنى سمعت أثناء هذا نباها
خافتاً مخنوفاً فانتبهت فألفيت كلبى قظميراً كذلك
قد أحاطت به كلاب المدينة ترمقه وتشمه كأنه

حيوان عجيب وهو يحاول الخلاص من خناقها ولا يجد
إلى ذلك سيلا . وجرى المسكين أخيراً إلى جدار
قريب ووقع تحته إعياء ورعباً . والكلاب في أثره ،
حتى وقفت منه على قيد خطوة تعيد النظر إليه ، ويريد
بعضها الدنو منه لمعاودة شمه فيقصيه الحذر ... هذا أنا
وهذا كلبى قطمير في هذه الحياة الجديدة ! أما أنتما
فأعميان لا تبصران ! أعما كما الحب . فلا أستطيع بعد
الآن أن أرىكما ما أرى ! ابقيا إذن ما شئتما في هذا العالم
لقد صرت وحيداً فيه . وليس يربطني إليه سبب .
ولئن كنتما لم تحسا بعدُ الهرم فأني بدأت أحس وقر
ثلثائة عام ترزح تحتها نفسى ... الوداع يا إخوان
الماضى ! اذكرا عهدنا الجميل ... عهد دقيانوس !
والآن ... أستودعكما الله هاتين بشباب قلبيكما في
حياتكما الجديدة ... (يذهب في بطء وكآبة على
حين تتبعه أنظار مشلينيا ومرنوش في صمت حتى
يختفى ...) .

الفصل الثالث

(منظر الفصل الثاني عينه : هو
الأعمدة . مشلينا ينتظر نافد الصبرين
العمد . الوقت ليل والمكان مضى .
يظهر غالياس في حذر ...)

- مشلينا : (يهرع نحو غالياس في اهتمام) مساوراءك ؟
(غالياس يطرق في خشوع) أين الأميرة ؟
غالياس : (في تردد ورعدة) أيها القديس !
مشلينا : أو لم تخبرها بما قلت لك ؟
غالياس : نعم ... نعم ...
مشلينا : وبماذا أجابت ؟
غالياس : لا شيء ... أيها القديس ! ...

- مشلينيا : لا شيء ؟ ألم تقل لها إنى أطلب رؤيتها منذ البارحة
ولا أجد إليها سبيلا . وإنه لا بد لي من رؤيتها الليلة
مهما يكن من أمر !
- غالياس : أيها القديس ! .
- مشلينيا : (في سأم وضيق) دعنى من « أيها القديس » .
أخبرنى أنت ماذا قالت . أخبرنى بالله ...
تكلم ...
- غالياس : (مطرقاً في خشية) أيها القديس ...
- مشلينيا : (ضيق الدرع) قلت لك دعنى من هذا
القديس ، لا تنادنى به بعد الآن ، أتوسل إليك .
إنى لست قديساً ... أفاهم ...؟
- غالياس : (مطرقاً في خوف) نعم ... أيها القديس .
- مشلينيا : (يتفرس فيه) عجباً ! إن هذا الرجل أحق ولا
شك . ماذا تصنع أنت فى القصر ؟ (غالياس لا
يجير جواباً) أجب ماذا تصنع هنا ؟
- غالياس : مؤدب الأميرة ...

- مشلينيا : مؤدب ؟ ومؤدب الأميرة !؟ منذ متى ؟ إلى لم
أرك في القصر إلا أمس !؟
- غالياس : أيها القديس ... إلى ... إلى ...
- مشلينيا : وبعد ؟ أفلا نفع يرجى منك أيها الأبله ؟ أفلا
تستطيع أن تخبرني بشيء عن الأميرة ؟ (كأنها
يخاطب نفسه) أتراها تقصد إساءتي والإغضاء
عني لأمر في نفسها !؟ أم ماذا ياربي ؟ وأنت أيها
الشيخ ألا تعاونني قليلا ؟ (غالياس مطرق
وكأنه لا يفهم) اذهب ! اذهب أيها الرجل ! لا
أفلحت ... !
- غالياس : (في خشوع وهو يريد الخروج) أيها
القديس ...
- مشلينيا : أكاد أجن جنوناً . إلى بقربها ولا أراها . وهذه
الوحدة حولي تكاد تقتلني قتلاً . لو أن هنا
مرنوش على الأقل (كمن تذكر) قف أيها
المؤدب ! كلمة ! (غالياس يقف خاشعاً) ألم

يأت من مرنوش خبر منذ ذهب إلى بيته أمس ؟

غالياس : لست أدري ... أيها القديس ...

مشلينيا : أو لم يعد بعد حتى العبد الذي رافقه وحمل له

الهدايا ؟

غالياس : لست أدري ... أيها القديس ...

مشلينيا : أنت لا تدري شيئاً أيها المؤدب ! (كأنما يخاطب

نفسه) ها هو ذا مرنوش قد أنساه ولده وامرأته

كل شيء في الوجود . وها أنذا لم أزل كما جئت

بالأمس في تربص وانتظار على غير جدوى .!

أستطيع أن أبيت تحت سقف هذا القصر ليلة

أخرى ولم أكلمها بعد ؟ أيها الرجل ... أين هي

في هذه اللحظة ؟!

غالياس : من ؟ أيها القديس ؟

مشلينيا : (في حدة) الأميرة ؟

غالياس : عند الملك ...

مشلينيا : عجباً ! وما تراها تصنع عند الملك في مثل هذه

الساعة من الليل ١؟

غالياس : أيها القديس ... إن ...

مشلينيا : (في قوة) تكلم ...

غالياس : إن الملك إذا أرق طلبها لتقرأ له ...

مشلينيا : (شبه ثائر) في مخدعه الخاص ؟ هذا الرجل

الغريب عنها ١؟ فهمت فهمت . أهذا هو العهد

المقدس ... ١

غالياس : (جاثياً) أيها القديس ١ أيها القديس ١ مغفرة ١

إن الأميرة مسيحية كمن تحمل اسمها وحافضة

للعهد المقدس .

مشلينيا : (دهشاً قليلاً) كيف علمت ذلك ؟

غالياس : إني أعرف الأميرة أيها القديس ...

مشلينيا : (في رفق) أهي قالت لك عن ...

غالياس : نعم أيها القديس نعم ...

مشلينيا : (في لطف آخذاً بيده) تعال يا ... ما اسمك أيها

المؤدب ؟

- غالياس : غالياس أيها القديس !
- مشلينيا : تعال يا غالياس ! ولنتفاهم ... إني أراك تكتم عني أموراً ... وتهابنى وتجعل بينك وبينى حاجزاً أكثر مما ينبغي . لِمَ لا يفهم أحدنا الآخر ؟ ما أيسر هذا لو أنك فتحت لى صدرك قليلا ، وفتحت لك نفسى ... (غالياس يحملق فيه) لماذا تنظر إلئى هكذا ؟ ألسنت مثلكم ؟ انظر إلى ثيابى ! ما الذى يجعلنى إذن غريباً فى عينيك ؟ (بعد لحظة) أنت واثق أن بريسكا حافظة للعهد ؟
- غالياس : ثقنى بأنك ولى الله الحق .
- مشلينيا : دعنا من هذا الآن يا ... غالياس ... أخبرنى كيف سلوكها مع وصيها ؟ ...
- غالياس : (غير فاهم) وصيها ؟ من أيها القديس ؟ ... !
- مشلينيا : هذا الملك .
- غالياس : هذا الملك أشد الملوك تمسكا بالمسيحية أيها القديس وأكثرهم إيماناً بالله الواحد !

مشلينيا : (في ضيق) لست أسأل عن هذا أيها الأحق !
(غالياس يطرق خوفا) إن هذا الملك ليس من دم
دقيانوس فيما أظن ؟

غالياس : دقيانوس ؟ دقيانوس الوثني ! حاشا لله أن يكون
ملكنا من دم ذلك المشرك الطاغية الذى لعنه
التاريخ !؟

مشلينيا : هذا ما أقول يا غالياس ... نعم ... إن هذا الملك
ليس من أسرة دقيانوس لأنى لم أراه من قبل ...
ولعله من القواد المسيحيين سرا ؛ جاء بجيشه
فقلب دقيانوس فى يومين وجلس على العرش
مكانه ، ونصب نفسه قيماً على بريسكا ، كل
هذا حسن . ولكن ... أن يستبيح لنفسه طلبها إلى
مخدع نومه ليلا لتقرأ له كما تقول ... (يبدو على
غالياس عدم الفهم) ولكن هى لماذا تجيبه إلى
طلبه ؟ أخوفا ومداراة ؟ أم مباسطة ورضاء ؟ ثم
هذا الإعراض عنى ! آه يا غالياس ... يا غالياس
(أهل الكهف)

(يمسك بعنق غالياس) ويلكم منى إن كان ما
أفهم صحيحا ا وويلها وويل نفسى إن كانت
خائنة للعهد ا .

غالياس : (يجشو) أيها القديس إنها حافظة للعهد كجدتها
القديسة . سل العراف . لو أن العراف على قيد
الحياة ؟ لقد قال إنها تشبه جدتها فى كل شىء .

مشلينيا : تشبه جدتها ... جدتها من ؟

غالياس : بريسكا ... القديسة بريسكا ...

مشلينيا : ما هذا الخرف أيها الشيخ الهرم .

غالياس : إنى أقول الصدق أيها القديس . إن العراف يوم
ميلادها قال ذلك .

مشلينيا : أى عراف ؟

غالياس : نعم العراف أيها القديس .

مشلينيا : مسكين أنت أيها الشيخ ا . اذهب إلى فراشك فلا

حاجة لى بك ... (غالياس يتحرك) بل اسمع أيها

الرجل ... كلمة أخسرى : الأميرة ولا شك

ستعود إلى مخدعها بعد أن تفرغ من مسامرة هذا الملك .

غالياس : نعم أيها القديس .

مشلينيا : وستمر طبعاً بهذا البهو ؟

غالياس : نعم أيها القديس .

مشلينيا : حسن . اذهب أنت ... ليس لي بك حاجة الآن ؟

(غالياس يخرج) فلا تنتظرنها طول الليل ! (يمشى في

البهو منتظراً ثم يسمع أنينا يدنو) ما هذا الآن ؟

مرنوش : (يشن في الخارج) مشلينيا ! ... مشل... ين... يا ...

مشلينيا : (في خوف) من يناديني ؟

مرنوش : (داخلاً) مشلي... نيا ... !

مشلينيا : مرنوش !

(يدخل مرنوش في ثياب حديثة كتياب مشلينيا وقد

حلق مثله) .

مرنوش : (وهو يجبر جسمه جراً ويشن متوجعاً)

مشلينيا ؟ ...

- مشلينيا : (ذاهبا إليه ومسندا إياه) ماذا بك ؟ .
مرنوش : مشلينيا ! ...
مشلينيا : ما بك يا مرنوش ؟
مرنوش : (يقع رأسه على صدر مشلينيا) ولدى ...
مشلينيا : ماذا بولدك ؟ .
مرنوش : (فى أنين) مات ...
مشلينيا : (فى جزع) ماذا تقول ... ؟
مرنوش : ما ... ت ...
مشلينيا : متى ؟ .
مرنوش : ما ... ت .
مشلينيا : (بعد لحظة) لا تجزع هكذا ! عد إلى نفسك قليلا ،
وقص على ما حدث ! .
مرنوش : مات ...
مشلينيا : مرنوش ؟ ألا تسمع لى ؟ قلت لك انتبه إلى قليلا
وحدثنى بما رأيت على أستطيع بعض التخفيف
عنك ... (مرنوش لا يجيب) مرنوش ! (يهزه

برفق) أهكذا فقدت كل قوة وكل أمل وصرت شيئا
لا يصلح لشيء ؟ ثم كيف تركت امرأتك وجمت في
مثل هذه الساعة ، لعلها محتاجة إليك !

مرنوش : ماتت ...

مشلينيا : من ؟ هي أيضا ؟ (مرنوش لا يجيب) امرأتك
كذلك ؟ ...

مرنوش : ماتت ...

مشلينيا : متى ؟ وكيف ؟ حدثني بالله يا مرنوش ! ...

مرنوش : مشلي... نيا ...

مشلينيا : نعم ... تكلم ...

مرنوش : مشلينيا ! مات أهلي يا مشلينيا ...

مشلينيا : (يطرق) .

مرنوش : مات أهلي يا مشلينيا ...

مشلينيا : لا تجزع ! املك نفسك يا مرنوش . أقتلا في

المذبحة ١٢ .

مرنوش : أي مذبحة ؟ .

- مشلينيا : كيف ماتا إذن ؟ .
مرنوش : لست أعلم ...
مشلينيا : ألم تسأل أحداً ؟ .
مرنوش : لا أحد يعلم ...
مشلينيا : عجباً ! ومنزلك ، ألم تجد أثرا في منزلك يدلك على شيء ؟
مرنوش : منزلى !! آه ... أين هو منزلى ؟ !
مشلينيا : ألم تجد منزلك ؟ .
مرنوش : وجدت مكانه سوقا للرماح والدروع ! .
مشلينيا : عجباً ! ومن أخبرك إذن بموت أهلك ؟ .
مرنوش : شحاذ هرم بالسوق ...
مشلينيا : ماذا قال لك هذا الشحاذ الهرم ؟ .
مرنوش : قال إنه يذكر عن آبائه هذا الاسم ...
مشلينيا : أى اسم ؟ أكنت ذكرت له اسم أحد ؟
مرنوش : اسم ولدى ...
مشلينيا : فماذا أجاب ؟ (مرنوش لا يحير جوابا) تكلم

يا مرنوش بالله ! ماذا أجاب ؟.

مرنوش : مات ...

مشلينيا : ولدك ؟ أجاب بأن ولدك قد مات ؟.

مرنوش : وأخذ بيدي إلى المقابر وأراني قبراً متهدماً ...

مشلينيا : قبره ؟.

مرنوش : وقرأت بعيني أسطراً متآكلة ...

مشلينيا : ماذا قرأت ؟.

مرنوش : اسم ولدي ... ثم ...

مشلينيا : ثم ماذا ؟.

مرنوش : ثم عبارة لم أفهمها ...

مشلينيا : قلها ... قلها يا مرنوش ...

مرنوش : « مات شهيداً في سن الستين بعد أن جلب النصر

لجيوش الروم » !.

مشلينيا : أهذا ما قرأت على حجر القبر !.

مرنوش : نعم .

مشلينيا : تريد أن تزعم أنت يا مرنوش ما زعم يميلخا أمس !.

مرنوش : لا شك عندي الآن ...

مشلينيا : أيها المسكين ! لقد جنتت مثل يميخا . هذا كل ما في الأمر .

مرنوش : أنت لا ترى الحقيقة . ابني مات في سن الستين .

مشلينيا : هب أن هذا حدث ... أتبكيه اليوم يا مرنوش ؟ هب أنه مات في سن الستين كما تزعم ، شريفا بعد أن عاش حياته شريفا ، وقاتل في صفوف الأبطال وربما بلغ القيادة ومجد اسمه كما ترى . فماذا تريد لابنك أكثر من ذلك (لنفسه) يا له من كلام يتضاءل بجانبه هذيان المرورين .

مرنوش : ولكنه مات . مات قبل أن يفرح بهديتي التي كنت أحملها إليه مع العبد ! .

مشلينيا : أيها المسكين ! إنه لم يميت البارحة بل مات شيخا هرما بعد أن قضى حياة طويلة كلها سعادة وفخار ! .

مرنوش : ولدى الصغير مات شيخا هرما ! أتسخر مني يسا مشلينيا في هذه الساعة ؟ .

مشلينيا : إني لا أسخر قط ... أنت الذى جئت تروى هذا
الجنون . ماذا أصنع لك . وما دمت تصدق الآن
بمليخا فلا ريب أن ولدك شب وكبر وسار فى حياته
العادية آمنا مطمئناً ، ولعله تزوج وأتى بذرية صالحة
من ذكور وإناث ... كل ذلك ونحن فى الكهف
نائمون !

مرنوش : ذرية صالحة ؟ من هذا ؟ ولدى الصغير الذى كان
ينتظر أوتى بلعبة يلهو بها !

مشلينيا : أيها المسكين . أنت لا تستطيع أن تتصور ولدك إلا كما
رأيتته آخر مرة . ومهما تسمع عن الثلاثمائة عام فهى
كلمات وأرقام لا تغير شيئاً من صورة ولدك
الصغير ... تلك الصورة المنطبعة فى مخيلتك ...

مرنوش : (صائحا) كفى هراء ! كفى هراء !. ولدى قد
مات ولا شىء يربطنى الآن بهذا العالم !. هذا العالم
الخيف . نعم صدق مليخا .. هذه الحياة الجديدة لا
مكان لنا فيها . وإن هذه المخلوقات لا تفهمنا ولا

نفهمها . هؤلاء الناس غرباء عنا . ولا تستطيع هذه
الشياب التي نحاكيهم بها أن تجعلنا منهم . لقد عرفني
الناس من وجهي ومن كلامي برغم ثيابي فتبعوني أنا
والعبد . وحتى العبد الذي نصبه الملك لخدمتي ما كان
يفهم أغلب ما أقول ، وكان يتعد عني كأني أجرب أو
أبرص . ولقد صرنا نتخبط طول اليوم في المدينة نسأل
ونبحث واليأس والرجاء يقطعان قلبي ، والناس من
حولي لا تفهم ما أريد ، ولا أسمع منهم إلا صياحا
يتبعونه بإشارة إليّ هامسين « هذا أحدهم ! هذا
أحدهم ! تعالوا شاهدوا ! . هذا أحدهم ! » . ثم
المدينة ! أهى طرسوس ؟ مستحيل أن تكون
طرسوس ! نعم يا مشلينيا . إنا بعيدون عن هذه المدينة
وسكانها بمقدار ثلاثمائة عام . وإن يملخا لم يجنّ ولم
يكذب . إني الآن فقط أدرك هذه الحقيقة ... ثلاثمائة
عام مضت ، وها هو ذا عالم آخر يحيط بنا كأنه بحر
زاهر لا نستطيع الحياة فيه ، كأننا سمك تغير ماؤه

فجأة من حلو إلى ملح ...

مشلينيا : لماذا لم تقل هذا الكلام أمس ؟ ألسنت أنت الساخر من
يمليخا ؟

مرنوش : لقد صدق هذا الراعى .

مشلينيا : منذ متى ؟

مرنوش : مشلينيا ! لقد مات قلبي يا مشلينيا ولا فائدة منى بعد

اليوم . تعال معى يا مشلينيا .!

مشلينيا : إلى أين ؟

مرنوش : (وهو يجذب يده) إلى عالمنا نحن ...

مشلينيا : (يسحب يده منه) أيجنون أنت ؟

مرنوش : أتدعنى أذهب وحدى ؟ (مشلينيا لا يجيب)

مشلينيا .! أتركنى أذهب وحدى ؟

مشلينيا : لا تذهب . ابق هنا .

مرنوش : لا أستطيع ...

مشلينيا : لماذا ؟ ما يمنعك ؟

مرنوش : لا أستطيع .

مشلينيا : بل تستطيع . لكنه اليأس والحزن على ولد مات منذ قرون في سن الستين بعد حياة تامة ناضجة أيها الأحق ! تريد أن تلحق به وأنت لم تعرف الستين بعد ! وأنت لم تزل فتى أمامك النضج والحياة !

مرنوش : (ضارباً رأسه بيده) أنا فتى وابنى شيخ ! تقول هذا الكلام في بساطة كأن ليس لك عقل يعى ويضبط ما تقول ! آه ... إنك ستؤدى بى حتما إلى الجنون ...

مشلينيا : ماذا تريد ؟ إما أن كل هذا حقيقة وإما أن كل هذا خلط ، وأن ليلة الكهف المخيفة قد أثرت في عقولنا ! وأغلب ظنى أن هذا ليس حقيقة ، فها هي ذى بريسكا موجودة كما فارقتها . ماذا تقول في بريسكا يا مرنوش وقد رأيتها مثلى البارحة . أعاشت هي كذلك ثلاثئة عام !

مرنوش : بريسكا ؟ نعم صدقت ؟ لكن ابنى ؟ ماذا تقول في ابنى ؟ كلا إن هذا حقيقة لا ريب فيها . إنك لم تر المدينة . إنك لم تر شيئا ... ! بريسكا ... ولدى !

رحمك اللهم ! سأفقد عقلي ! سأفقد عقلي !

مشلينيا : (رافعا رأس مرنوش) لا تبك يا مرنوش ! ما فائدة

بكاء ولدك الآن ؟

مرنوش : لست أبكى ولدى أيها الأحمق !

مشلينيا : إذن ، ما بكاؤك هذا ؟

مرنوش : عذاب ... عذاب آخر لا تفهمه أنت . يا ربى لماذا

تركنتى فريسة للعقل ! ثلاثمائة عام ! ابسى فى سن

الستين وأنا فتى أمامى النضج والحياة ...

مشلينيا : لا تفكر فى هذا يا مرنوش . عدد كما كنت أمس واسخر

مما تسمع . هاته الأعوام الثلاثمائة أو أكثر منها ، إن هى

إلا كلمات ، أعداد ، أرقام ، هب أنها مجرد ألفاظ

وأرقام لا معنى لها كما كنت تفعل أمس ، ماذا تستطيع

هذه الأرقام أن تغير من إحساسك بالحياة . هب كل

ذلك صحيحا إنما أنت الآن فى الواقع أمام حياة ،

وأنت لم تزل فتى . هب أنها حياة جديدة قد منحتها

أتأبأها ؟

مرنوش : حياة جديدة | ما نفعها ؟ إن مجرد الحياة لا قيمة لها .
إن الحياة المطلقة المجردة عن كل ماضٍ وعن كل صلة
وعن كل سبب هي أقل من العدم ، بل ليس هناك قط
عدم . ما العدم إلا حياة مطلقة .

مشلينيا : لست من رأيك يا مرنوش . إن أية حياة منحة . وأؤمن
منحة تعطى مخلوقا هي الحياة . ومع ذلك هذا كان
رأيك في الحياة أمس . فلماذا لا تعود إلى ما كنت عليه
أمس .

مرنوش : هيات | هيات | ...

مشلينيا : لماذا ؟

مرنوش : أمس كنت مثلك .

مشلينيا : مرنوش |

مرنوش : لأنني كنت أعيش في حياة لها صلة ولها سبب ، هو

القلب ، والقلب لا يخضع لنا موس الزمن . فما كانت

عندي مئات الأعوام إلا كلمات وأرقام !

مشلينيا : واليوم إذن ؟

مرنوش : مات .

مشلينيا : من ؟ ماذا ؟

مرنوش : (مستمرا) ولم يبق لى إلا العقل . فها أنذا للعقل
وحده . وها هو ذا يعيدنى إلى عالمه ... عالم الزمان
والمكان ...

مشلينيا : لست أفهم ...

مرنوش : نعم . مع الأسف . لست تفهم هذا الآن ...

مشلينيا : إنى أفهم أنك رجل متزن ولا تندفع إلى الهلاك وراء
عاطفتك .

مرنوش : (فى صوت جاف وهو يتحرك) الوداع ! ...

مشلينيا : مرنوش ! أترانى لم أفهم قصدك ؟ ...

مرنوش : نعم ... الوداع ...

مشلينيا : امكث معى يا مرنوش . إنى فى حاجة إليك : لقد

أنسىتنى ما أنا فيه . إن لدى أشياء كثيرة أريد أن أفضى

بها إليك . أشياء عرفتها اليوم . أشياء حدثت وأريد

معاونتك . امكث يا مرنوش امكث !

- مرنوش : لا أستطيع .
- مشلينيا : (متشبثا) لماذا ؟ لماذا لا تستطيع يا مرنوش ! لماذا ؟
- مرنوش : لقد قلت لك .
- مشلينيا : ولدك ؟
- مرنوش : (ذاهبا) الوداع ... أيها الأحق !
- مشلينيا : (يستوقفه) مرنوش . مرنوش ! أريد أن أفهم . إني خائف . إني أرى في وجهك أشياء لا أدركها .
- مرنوش : (بخلص نفسه ليذهب) ولن تدركها اليوم ...
- مشلينيا : مرنوش ! لن تذهب قبل أن تقول لي ...
- مرنوش : لقد قالها يميخا .
- مشلينيا : ماذا ؟
- مرنوش : إنا أشباح .. إنا الآن ملوك الزمن .
- مشلينيا : (في تفكير وشيء من الارتجاف) مرنوش ... !
- مرنوش : إنا ملوك التاريخ .. ولقد هربنا من التاريخ لننزل عائدتين إلى الزمن .. فالتاريخ ينتقم ! ... الوداع يا مشلينيا ... ! (يخرج مرنوش ويترك مشلينيا)

ذاهلاً .

مشلينيا : رباہ ا أخشى أن يكون حقيقة قد جُنُّ .. (يقى لحظة متأملاً ذاهلاً بلا حراك ثم تظهر بريسكا وحدها ويدها كتاب) .

الأميرة : (تجتاز البهو وترى مشلينيا فتجفل) آه .. من هنا ؟ مشلينيا : (يستدير سريعاً ويلتفت إليها) ها أنت ذى أخيراً يا بريسكا العزيزة ا

الأميرة : (يعقد الخوف لسانها فتقف كالتمثال) ا مشلينيا : إلى أترقبك منذ وقت طويل .. (الأميرة لا تجيب) عجباً ا أهذا استقبالك لى ١٢ . (الأميرة لا تتحرك) ما كنت ولا ريب تتوقعين رؤيتى الساعة ٢ . (لحظة صمت .. الأميرة ذاهلة) بل ربما كنت لا تحبينها . بل لعلك سانحة على المصادفة التى جاءت بك الآن إلى هذا المكان ، إلى أرى ذلك فى وجهك . لا بأس . بالرغم من هذا لا أكتملك أن مرآك فى هذه اللحظة قد صيرنى سعيداً .. سعيداً يا بريسكا إلى أقصى غاية .. (أهل الكهف)

(الأميرة في دهش) لماذا تنظرين إليّ هكذا ؟
(بريسكا لا تتحرك وينظر مشلينيا إلى ثيابه)
أيدهشك شيء في هيئتي ؟ ماذا ترين فيّ قد تغير
(بريسكا لا تجيب) عجباً !. ألا تتكلمين ؟ ألا
تنطقين بحرف ؟ أليس لديك الآن ما تقولين لي ا
أتريدين أن أظن بك ما ظننتُ الساعة . (بريسكا لا
تتحرك) (مشلينيا يتقدم خطوة نحوها ، ويقول في
شيء من الحدة) تكلمي !. انطقي !. إني لستُ بعد
قادرأ على احتمال ما يحيط بك من صمت وغموض ..
تكلمي !.. تحدثي بشيء !..

بريسكا : (في صوت خافت) أيها القديس .

مشلينيا : أيها القديس ! أتتهكمين ؟ (بريسكا لا تجيب)
عدتِ إلى الصمت . أهذا كل ما عندك « أيها
القديس » ؟ لست قديساً أيتها العزيزة بريسكا .
وأنت تعرفين ذلك . ابجشي عن شيء آخر تقولينه .
بريسكا : (في دهشة) لست قديساً ؟؟

- مشلينيا : (في فتور) كلا .
- بريسكا : ألسـت القديسـ ذا المنظر الخيف الذي رأيتـه أمس هنا ؟
- مشلينيا : إن كنتـ ترينني مخيف المنظر فأنا هو .
- بريسكا : كلا . أنت لست مخيف المنظر .
- مشلينيا : (متصنعاً السذاجة في غيظ مكتوم) صحيح ١٢٢
- بريسكا : (تتأمل منظره) إنك صرت شخصاً آخر . مخلوق
أمس كان يبدو شيخاً أو على الأقل ذا شعر أشعث
كشعر الشيخ ... أما أنت ...
- مشلينيا : أما أنا ؟
- بريسكا : فتبدو فتى .. إنك فتى .
- مشلينيا : (في تهكم مر) شيء جميل . ما أبرعك !
- بريسكا : لماذا ؟
- مشلينيا : (في تهكم وغيظ) لأنك عرفتـ أني فتى وأنى
إنسان ... مرحى مرحى ! ما كنتـ أحسبك تعرفين
من أمرى كل هذا المقدار .
- بريسكا : لسـت أفهم ...

مشلينيا : أنا كذلك لستُ أفهم . إني أعرف بريسكا بسيطة
وديعة صافية النفس ، مؤمنة القلب ، طاهرة
الضمير ، وما عرفتها قط قديرة على التصنع والتخايب
والختل ...

بريسكا : أنت تعرفني إذن ؟

مشلينيا : بريسكا . احترسى . إن لصبري حداً .

بريسكا : (في دهشة) من أنت ؟ إنك تخاطبني كما لو كنت
تعرفني من قبل . أو كما لو أنك لي بعل ؟!

مشلينيا : (في ألم) شكراً لك .

بريسكا : ما بك ؟ (مشلينيا لا يجيب) إني لم أقصد إغضابك يا
هذا . لكن ...

مشلينيا : (منفجراً) وأنت تخاطبيني كما لو أنك امرأة خائنة
مرائية تريد أن تتجاهل ما سلف وتنقض عهودها
المقدسة متوسلة بأحسن الأسباب . ما كان أحراك أن
تسلكي طريق الصراحة والصفاء وتواجهيني بالحقيقة
بدل أن تنكريني هذا الإنكار . أيتها الأميرة ، إني

أعرف كل شيء ولم أتهدم بعد ، ولم تُعِدْ لي الأرض
بعد ، ولم تنطبق السماوات . وها أنذا واقف أمامك
قوياً محتملاً لا أضعف ، عاقلاً لم أجن . كم أنت مخطئة
أن تظني بي الضعف عن احتمال خبر نحيانتك . إن
القلب الذي امتلأ يوماً بك ليستطيع أن ينبض بدونك
على الأقل يوماً أو يومين . إني ما كنتُ أحسبني بهذه
القوة ، إني لا أزعم أني أستطيع أن أخلع من نفسي
تلك التي كانت لي عقيدة أو أكثر من عقيدة ، ولا أن
أشوه من ذاكرتي أجمل إحساس ارتفعت به نفس
بشر ، ولكني أستطيع أن أزعم أني أعيش بعد كل
هذا . نعم أعيش ... ألا ترين ؟ انظري ها أنذا
أعيش ! ها أنذا أعيش ! ها أنذا أعيش !

بريسكا : (مأخوذة في غير استنكار بل في سرور خفي لا
تدركه) أنت تخاطبني أنا بكل هذا ؟؟؟ (مثلينيا لا
يجيب — بريسكا كأنما تخاطب نفسها) هذا كلام لم
يقله لي أحد من قبل ... إلا أنت اليوم ! ما أجملك

بطلا من أبطال المآسى الإغريقية التي كنتُ أطلعها
خفية عن غالياس ، وأنا صغيرة .

مشلينيا : (يتظاهر بالهدوء والفتور) معذرة أيتها الأميرة . إنى
ما قصدتُ بكلامى شيئاً سوى إبراء ذمتك ...

بريسكا : إبراء ذمتى ؟ ممّ ؟ ...

مشلينيا : مما ارتبطت به من عهد .

بريسكا : أى عهد ؟؟

مشلينيا : (فى هدوء) أو لا تعرفين هذا أيضاً ؟! عهد الخطبة
بيننا .

بريسكا : (وهى تنظر إليه فى حسرة) وأسفاه ! الآن لا شك
عندى ...

مشلينيا : (فى مرارة) أخيراً ...

بريسكا : (متممة عبارتها السابقة) فى أنك مجنون .

مشلينيا : أشكرك أيتها الأميرة . لأن أكون مجنوناً خير من أكون
خائناً .

بريسكا : (هادئة) أنا خائنة ؟. ما هى تلك الخيانة المزعومة

التي ترميني بها منذ لحظة ؟ (مشلينيا ينظر إليها ولا يجيب) تكلم . أرنى إلى أى حد يصل الجنون ... الأمر العجيب أنك لم تعد تخيفنى . نعم ، لست أخاف جنونك اللذيذ هذا ... بل إنى لأحب أن أستمع إلى قصصك ... تكلم . ما هو نوع خيانتى ؟ ولمن ؟ لك أنت ؟

مشلينيا : (هادئاً . فى أسف وكأنما يقول لنفسه) بريسكا ! إنك لست بريسكا !

بريسكا : دعنا من هذا . هذا جنون سهل مبتذل . حدثنى عن الخيانة ... !

مشلينيا : بريسكا . إنك ما كنتِ على هذا الذكاء ... !

بريسكا : (باسمة) متى ؟

مشلينيا : (فى مرارة) أمكذا انتهى كل شيء ... ؟

بريسكا : أى شيء ؟

مشلينيا : بهذه الوسيلة الهينة ! أى شيطان يجرو على هذا وأى ضمير ... (لحظة) لكن ... لا ... ينبغى أن أتربث

قبل أن أتهمك هذا الاتهام الشنيع . بريسكا الملاك
الطاهر !؟ أترانى أسرف وأبالغ ؟ لعلى مجنون كما تقولين
إذ أسمح لنفسى بالارتياب فيك . بريسكا ... لعل
هذا ما تقصدين ! وافرحته ! لو أن هذا صحيح !
هذا الخاطر قد يرد إلى الحياة ، بريسكا : تكلمى ! أنا
مجنون لأنى أرتاب فيك ؟

بريسكا : قد يكون هذا ولكن ما يحملك على الارتياب فى ؟ وما
هو نوع ريبتك ؟

مشلينيا : (يتقدم نحوها ماداً يديه فى فرح) أسألك الصفح !

بريسكا : (تنهقر) لا تلمسنى ... لا تلمسنى ...

مشلينيا : (يقف فى مكانه طائعا) نعم إنى أثمت يا بريسكا !

إنها رعوتنى لم تتغير ، وكذلك ...

بريسكا : ماذا ؟ تكلم ...

مشلينيا : الغيرة .

بريسكا : (فى دهشة وعجب) الغيرة ؟

مشلينيا : (خافت الصوت مطرقا) نعم .

بريسكا : (باسمه في غير استكثار) هذا جميل !
مشلينيا : (في عتب) لأنك أهملتني وأغفلت شأنى يا بريسكا
لست أدري لماذا ؟ ومنذ البارحة وأنا أتقطع لرؤيتك
وأطلبك وأرسل إليك وأنتظر الليل . فيقال لى اليوم
إنك عند هذا الرجل فى مخدعه تسامرينه ، وتلهينه فى
ساعة كهذه مريبة ...!

بريسكا : إنك فاتن حقاً أيها القديس !
مشلينيا : عُدتِ إلى التهمك !
بريسكا : كم يكون كلامك هذا أشد عجباً وخرابة لو أنك بقيت
على منظر الأمس ، بلحيتك وشعرك وثيابك الغربية
(مشلينيا لا يجيب) ولكنى لست أكتمك أنى ما
كنت أستطيع الاقتراب منك ، والإصغاء إليك كما
أفعل الآن ... (مشلينيا يكظم ولا يجيب)
أأغضبتك ؟

مشلينيا : من علمك هذه اللهجة ؟ وكيف انقلبتِ امرأة أخرى
فى هذا الزمن القليل ! أين الوداعة والخفر والحياء

- العميق وصوت الملائكة الذى لا يكاد يسمع ؟
بريسكا : كل شيء إلا الحياء العميق وصوت الملائكة أيها
القديس ! من أين جاءك أنى كنتُ كذلك ؟
مشلينيا : كنتِ كذلك يوم كان الحب يرفعك عن هذه
الأرض .
بريسكا : الحب ؟
مشلينيا : الذى كان عندك أقوى من العقيدة ، أقوى من الدين ،
لأن عقيدة الملائكة حب .
بريسكا : عقيدة الملائكة حب ؟
مشلينيا : أتجهلين ذلك الآن ؟
بريسكا : هذا أحسن ما سمعتُ منك أيها القديس ! . وأعقل ما
قلتَ اليوم .
مشلينيا : (فى أسف) ومع ذلك فلست أنا قائله .
بريسكا : من إذن ؟
مشلينيا : أنت .
بريسكا : (فى دهشة) أنا ؟ .

- مشلينيا : نعم أنتِ التي أريتني هذا وأفهمتنيه .
- بريسكا : متى ؟ متى كان ذلك ؟!
- مشلينيا : يوم كنتِ أقل ذكاء وأعمق قلباً .
- بريسكا : ومن قال لك إن قلبي ليس عميقاً ؟!
- مشلينيا : عيناك .. كنت أرى فيها ما لا أرى الآن ... وكانتا
وحدهما اللتين يتكلمان على حين كان لسانك الساذج
قاصراً لا يستطيع أن يقول كل ما قلت الآن .
- بريسكا : (بعد لحظة تأمل) جميل هذا الدرس الذي تلقيه عليّ
أيها القديس ! ليتك غالياس ، هذا المؤدب الذي طالما
أثقل عليّ بأكاذيبه وحقايقه !
- مشلينيا : (في برود) إني ما جئت لألقى دروساً .
- بريسكا : إذن لعلها رسالتك إلى هذا العالم أيها القديس !. ثق
بقولي ما أجملها رسالة إلينا ...
- مشلينيا : (منفجراً في غيظ) إلى عالم موبوء كله نحتل
وخيانة . نعم وأسفاه .! لو أن رسالات السماوات
كلها تنفع في إعادة الطهر إلى قلب امرأة خائنة .!

بريسكا : عدت إلى ذكر الخيانة ؟ (مشلينا ينظر إليها ولا يجيب) لماذا تنظر إلي هكذا تكلم ... إني أصغى إليك على كل حال ... تحدث ...

مشلينا : (يجثو) بريسكا . إني أتعذب لماذا تعذبنني ؟ ... لماذا لا تخبرينني بالصدق بدل التهكم والمداورة ؟ قولي كلمة واحدة بصوتك العميق الصادق وأنا أقنتع وأستريح .. بل أقسمي .. أقسمي لي ..

بريسكا : أقسم لك ؟

مشلينا : (يرى الصليب في جيدها) نعم أقسمي على هذا الصليب وافرحته .. هذا صليبي ما زلت تحمليه .. شكرالك يا بريسكا ..

بريسكا : (في دهشة) صليبيك ؟

مشلينا : أليس في هذا دليل على حفظك لعهدى . نعم .. قلبي يحدثني دائما أنك بريئة . بل إني لو اثق . لكنني أطلب التأكيد .. التأكيد ... حتى لا أسمح لنفسى بعد بالشك ..

بريسكا : (قلب الصليب في يدها وكأنها تقول لنفسها)
أترارك عدت إلى الخلط والجنون ؟ وأنا التي كادت تعنى
بما تقول ...

مشلينيا : نعم إنه جنون أن أشك في بريسكا . إلى أفقد وعيى
كلما خطر لى ... إذن فلأطرد من رأسى كل فكرة من
شأنها أن ... نعم فلتترك هذا الموضوع إلى الأبد ...
ولتتكلم فى شىء آخر ... أعدك يا بريسكا وعدا
صادقا أنى لن أجن بعد الآن ، فهل تصفحين عنى ؟
(بريسكا تنظر إليه صامته) لماذا تنظرين إلى هكذا ؟
بريسكا ! هل تمنحيتنى عفوك ؟ أجيبى !

بريسكا : (بغير انتباه) نعم ...
مشلينيا : (يريد أن يلثم يدها) ما أسعدنى ! إلى الآن سعيد أيتها
العزيرة .! يا خطيبتى المعبودة .! . (بريسكا شاردة
تحس شفة مشلينيا على يدها فتتزعجها من يده فى
الحال) لماذا لا تريدان أن ألثم يدك !
بريسكا : انهض أيها المجنون .! إلى أصفيت إلسيك أكثر مما

يجب ... (تتحرك ذاهبة) .

مشلينيا : (صالحا في يأس) بريسكا . إلى أين ؟ أتذهبين بهذه
السرعة وعلى هذا النحو ؟ وقبل أن تقولى لى .

بريسكا : (تستدير) أقول لك ماذا ؟

مشلينيا : إني لن أستطيع النوم الليلة ، إن لم تزيلي كل ما بنفسى
من ... مهما تبلغ ثقتى بك فأني محتاج أن توضحى لى
هذا الغموض ... أريد أن أعرف ... لا تعذيني .
لا تقتليني ! أريد أن أعرف يا بريسكا .

بريسكا : تعرف ماذا ؟

مشلينيا : من هذا الرجل ؟

بريسكا : (فى دهشة) أى رجل ؟

مشلينيا : الذى كنت عنده الساعة !

بريسكا : لم أكن عند رجل الساعة ! ولكن جازلك أن تخلط

وتهرق ... فليس لك أن تهيننى . !

مشلينيا : صفحا يا بريسكا ! ... إني وحشى التعبير وما قصدت

إهانة ... لكنه القلق وحب المعرفة ، إني أردت أن

أسألك أين كنت الساعة قبل أن تمرى بهذا البهو ؟

بريسكا : كنت عند أوى .

مشلينيا : (دهشا) أبوك ... أريد من كنت تقرئين له الآن
وتسامرينه ...

بريسكا : نعم هو أوى ... إذا أرق دعانى لأطالع له حتى ينام .

مشلينيا : (فى حدة) بريسكا ا .

بريسكا : ماذا دهاك ا؟ ولم تحملق فى بعينيك ا؟

مشلينيا : بريسكا . أتمزحين وتتخابشين ؟ ... أم ... أم تريدن
خداعى ... أم أنا فى ...

بريسكا : (فى دهشة) ماذا تقول ا؟

مشلينيا : أنا عميت ... إن هذا ليس بدقيانوس ... إن هذا
الملك ليس دقيانوس .

بريسكا : دقيانوس ا؟ طبعا لا . إن أوى ليس بدقيانوس .

مشلينيا : بريسكا ا أألست ابنة دقيانوس ؟ .

بريسكا : أنت مجنون !! أأكون ابنة ملك مات منذ ثلاثائة عام ا؟

مشلينيا : (رأسه بين يديه كأنها ينتظر طامة) من أنت إذن ؟

إلهى ! أكاد أجن ! سأجن ...

بريسكا : (تمد يديها إليه فى قلق) ماذا بك ١٢.

مشلينيا : ابنة هذا الرجل ؟. هذا الملك ؟. رباه كيف يمكن

هذا ... ؟

بريسكا : من كنت تحسبنى إذن ؟؟ آه ... (تصيح فجأة إذ

تبرق فى رأسها فكرة) آه ... نعم ... نعم ... يا

إلهى . فهمت ... فهمت ...

مشلينيا : (رافعا رأسه) ماذا ؟ ماذا ؟ ...

بريسكا : فهمت إني لست بريسكا التى تقصدها . يا إلهى ! كل

هذا الذى قلت لم يكن لى إذن ... بل للأخرى ..

مشلينيا : لست أفهم ...

بريسكا : أنسيت أن عمرك ثلاثمائة عام . ١٢. أنسيت أنك لبتت فى

الكهف ثلاثمائة عام ؟.

مشلينيا : وماذا بهم ... ؟!

بريسكا : (فى كآبة ومرارة وكأثما تقول لنفسها) صدقت !

أنا أيضا نسيت ذلك الساعة !.

مشلينيا : بريسكا . ماذا تقولين ؟

بريسكا : لا . لا شيء ا .

مشلينيا : تكلمي بالله ...

بريسكا : (لمشلينيا) إنها كانت ابنة دقيانوس ا دقيانوس

الوثني ، ولكنها اعتنقت دين المسيح ا .

مشلينيا : نعم . من أجلى يا بريسكا . أليس كذلك ؟

بريسكا : أو كان ذلك من أجلك ا آه . إذن كان ذلك من

أجلك ا نعم . نعم . وغالياس يقول إنها قديسة وإن

المسيح جاءها في المنام وقلدها هذا الصليب الذهبى .

مشلينيا : بل هو صليبي الذى أهديتك إياه يا بريسكا عقب

ذهابنا إلى الراهب ... ألا تذكرين ا .

بريسكا : (مفكرة كمن تخاطب نفسها) نعم . نعم . أدركتُ

كل شيء الآن ...

مشلينيا : (فى رجاء) أدركتِ الآن ا يا بريسكا ا .

تذكرت ؟

بريسكا : (تلتفت إليه فى قوة ، وتقول فى لهجة قاطعة)

(أهل الكهف)

اسمع ! أتريد أن تصغى إليّ مليا ، وتعى ما أقول ؟ .

مشلينيا : (يلتفت إليها بكل جوارحه) نعم .

بريسكا : إن بريسكا ابنة دقيانوس . خطيبتك التي تهواها ماتت منذ ثلاثمائة عام .

مشلينيا : (بغير فهم) ماتت ؟ .

بريسكا : نعم . عذراء طاهرة كما تركتها ، وقد حافظت على

عهدك المقدس ... وظلت طول حياتها تقول : إنها

تنتظر . تنتظرك أنت بالطبع حتى تعود .

مشلينيا : (كالتحبول) ماذا أسمع !؟ .

بريسكا : ولقد وفت بوعدتها وانتظرتك حتى أدركها الموت في

الخمسين من عمرها ، وقد طلبت في النفس الأخير أن

تحمل لقوت في هذا الجهو ، لماذا ؟ أكنتم تلاقيان هنا !!

تكلم يا هذا .

مشلينيا : (في غير وعى) نعم . نعم .

بريسكا : الآن وقد عرفت . اذهب وابكها . إنها ولا ريب

تنتظر دموعك . الوداع ! .

مشلينيا : (يتسمسك بأذيالها وهي تهم بالانصراف)
بريسكا ١. لا تذهبي ...

بريسكا : (في حدة غوية) قلت لك إني لست بريسكا .

مشلينيا : (في توسل) لست أنتِ ... لم هذا يا بريسكا ؟
رحماك ! أتريدين أن أفقد عقلي ؟

بريسكا : (في حدة) ألم تسمع ما قلت ... ؟ لست بريسكا
التي تحبها . ماذا تريد مني ؟

مشلينيا : (يحمق فيها كالجنون) رحمتك يا ربي ! من أنتِ
إذن ! إني لستُ أدري بعدُ هل لي رأس فسوق
كتفى ٢.

بريسكا : (في تجهم) إني أشبهها . ولست هي . انظر جيدا .
وليعد إليك عقلك .

مشلينيا : (يحمق كمن لا يصدق) تشبهينها ؟ تشبهين من يا
بريسكا ٢٢.

بريسكا : ولقد أسموني باسمها .

مشلينيا : (كمن كاد يفهم) رباه ١.

بريسكا : ألم يخبرك أحد بقصة العراف الذى جاعوا به ساعة
ميلادى لينظر طالعى ؟.

مشلينيا : (كمن يتذكر) العراف ؟؟ .

بريسكا : لقد تنبأ بأنى حينما أكبر سأشبه القديسة بريسكا ابنة
دقيانوس . ولهذا دعونى باسم بريسكا .

مشلينيا : العراف !؟ نعم يخيل لى أنى سمعت شيئا كهذا ... أين
ومتى !؟ .

بريسكا : أوضحت لعينيك الحقيقة الآن . ١؟ .

مشلينيا : (ينظر إليها طويلا) لست إياها !؟

بريسكا : كلا . لستُ إياها . اذهب ! ماذا تنتظر بعد فى هذا
المكان ؟. قلبك لم يعد هنا ! .

مشلينيا : (وهو لم يزل ينظر إليها) قلبى لم يعد هنا !؟

بريسكا : (تنظر إليه طويلا ثم تقول بصوت خافت) الوداع !
(تنصرف) .

مشلينيا : (كمن أصابه خجل يمد يديه نحوها) بريسكا ؟ .

عزيزتى تعالىى ... أنت هى . ا. رباه . !! أنتِ هى .. !

لست هي ؟ ومن تكونين إذن ... أنت ؟ أنا أم أنا .
أحي أنا ؟ ! أأكون في حلم مضطرب مختلط إلهي .
إلهي ! أيها المسيح . أيها الإله ! أعطني عقلا أرى به .
أعطني النور أو أعطني الموت . اليقظة . النوم .
العقل . العقل ... مرنوش . أين أنت يا مرنوش ؟
أين نحن .. أين نحن الآن . أحلام الكهف ؟ أهى
أحلام الكهف ؟ أنا في حقيقة ؟ أنا في الكهف ؟ ما
هذه الأعمدة ؟ ... (يتخبط بين العمدة في البهو) إلى
يا مرنوش ... يا يمليخا ... إنا لا نصلح للحياة ... إنا
لا نصلح للزمن ... ليست لنا عقول ... لا نصلح
للحياة . (يخرج فيصطدم بغالياس الداخل) .

غالياس : (يفرك عينيه وينظر في أثر مشلينيا الذي خرج) ماذا

بالقديس ؟ ما بال القديس هائجاً . !

بريسكا : (تعود على مهل وتبحث بعينها وتقول بصوت

خافت كأنما هو لنفسها) ذهب !؟ . !

غالياس : مولاتي ! ألم تأوى بعد إلى مخدعك ؟

بريسكا : لستُ أريد النوم .

غالياس : كنت أنتظرك على مقعد قرب باب الملك ولكن غلبنى
النعاس فلم أركُ تخرجين .

بريسكا : (غير ملتفتة إلى كلامه) غالياس !

غالياس : مولاتى !

بريسكا : (بعد لحظة ... فى تردد) غالياس ...

غالياس : (يذنبونها) مولاتى اليك يا مولاتى ... ماذا بك ؟

بريسكا : لا ... لا شيء . اذهب إلى فراشك إذا شئت ...

غالياس : أو تبقين وحدك هنا . ونحن فى ساعة متأخرة من
الليل ؟

بريسكا : نعم .

غالياس : (ينظر إليها) ماذا بك يا مولاتى ؟ إني لم أرك قط على

هذه الحال ؟

بريسكا : ماذا ترى بى ؟

غالياس : لست أدرى على التحقيق ... ولكن ...

بريسكا : غالياس !. أريد أن أقول لك ... أريد أن أقول لك

شيفاً ... مروعاً .

غالياس : يا لله ! تكلمى يا مولاتى .

بريسكا : لقد وجدتُ ... وفقدتُ ... فى طرفة عين ...

غالياس : ماذا وجدت يا مولاتى ؟

بريسكا : وفقدتُ ... وينبغى لى أن أفقد ... إلى الأبد . لأن

هذا جنون . هذا مزوع !

غالياس : وجدتِ ماذا ؟

بريسكا : حلمى ...

غالياس : حلمك ؟ أى حلم يا مولاتى ؟ (لحظة) نعم أذكر

أنك قلت لى بالأمس عن حلم رأيته ... حلم مفزع

مخيف .

بريسكا : هو ذاك أيها الأحمق ! اذهب عنى لا فائدة لى منك .

غالياس : مولاتى ! لا تُراعسى ، ولا تعتقدى كثيراً

بالأحلام ! ... لا سيما أحلام من فى سنك . إن أحلام

الشباب غالباً أصغاث .

بريسكا : (فى حسرة) أحلام الشباب غالباً أصغاث ! (كمن

تخاطب نفسها) نعم ... صدقت في هذا .

غالياس : ألم تحلمي أنك دفنت حية !؟ أو تصدقين حلماً كهذا ؟

بريسكا : (تنبه لهبارته) ماذا ؟ نعم يا للمصادفة العجيبة ! لقد رأيت ذلك حقاً البارحة ؟ أجل يا غالياس ... ولم لا ؟ لقد بدأت تصدق الرؤيا ...

غالياس : (في قلق) ماذا تعنين يا مولاتي ؟

بريسكا : لا شيء ... اذهب ...

غالياس : لست أفهم ... هذه أول مرة لا أفهم فيها كلامك يا مولاتي ؟ ... إنك اليوم تتكلمين كما يتكلم هؤلاء القديسون !.

بريسكا : لا تهن القديسين يا غالياس .

غالياس : حاشا الله يا مولاتي ! حاشا لله ! إن الله ليشهد بما في صدري من خشوع وخضوع . غير أني أردت أن أقول إن خيراً للقديسين أن يظلوا في السماء من أن ينزلوا بيننا على الأرض ...

بريسكا : إنهم ما نزلوا يا غالياس إلا ليرفعونا معهم إلى السماء .
غالياس : هذا شرف عظيم يا مولاتي . ولكن لا يناله إلا
الأخصياء ...

بريسكا : (في حزن وكأنا تخاطب نفسها) صدقت (لحظة)
إذن لا ينبغي أن نطمع حتى في هذا ؟

غالياس : ومع ذلك . من يدري ؟ ألم يقل العراف إنك
ستشبهين القديسة ؟ إن الله لم يخلق هذا الشبه عبثاً ...

بريسكا : (مضطربة) ويلك ! ماذا تعنى ؟

غالياس : أعنى يا مولاتي أنك قد تصيرين خليفتها .

بريسكا : خليفتها ؟ خليفتها في ماذا ؟ يا للفظاعة ؟ أجننت يا
غالياس ؟ إلى أفضل العذاب والموت على شيء فظيع
كهذا ...

غالياس : شيء فظيع ؟ أستغفر الله ! أستغفر الله !

بريسكا : ألا تتصور فظاعته ! آه . ولكنك لا تفهم شيئاً أيها
الرجل . اذهب .

غالياس : أستغفر لك الله ! وأنا الذي رجالك يا مولاتي رضاء

الله وولايته وتفاعل منذ قليل إذ ألحَّ القديس مشلينيا في طلبك مرة أخرى الساعة ... وكان مهتما غاية الاهتمام .

بريسكا : (مطرقة) نعم . أعرف لمن كان هذا الاهتمام .

غالياس : أقبالته يا مولاتي ؟ إني انتظرتك بباب الملك لهذا ، ولأرجو منك أن لا تفزعى منه ...

بريسكا : قابلته ... ولم أفزع مع الأسف ...

غالياس : وماذا قال لك ؟

بريسكا : (تغالب تأثرها) قال لي أشياء . أشياء . وفي

وجهى ...

غالياس : (ينظر إليها) أتبيكين يا مولاتي ؟!

بريسكا : قال إن القديسة بريسكا كانت عميقة القلب ، أما أنا

فلا . وإنما كانت ذات صوت ملائكى لا يكاد يُسمع

أما أنا فلا . وإنما كانت ذات وداعة وصفاء وحياء

جميل أما أنا فلا ...

غالياس : كيف ذلك يا مولاتي ؟ أهو يعرفها ؟!

بريسكا : (في غيظ) اسكت أو اذهب أيها الغبى الجاهل
الأحمق ! إنه يحبها وتحبه وخطيبها وخطيبته وبينهما عهد
مقدس لا بينها وبين الله أيها المؤدب الأبله . وكانت
تنتظره حتى الموت ... تنتظره هو لا المسيح وهو الذى
أعطاهها هذا الصليب الذهبى ...

غالياس : عجبا ! القديس مشلينيا هذا !؟

بريسكا : نعم هذا الفتى الجميل ... خطيب جدتى الغابرة . ولا
يحب سواها فى الوجود ... فى أى وجود . اذهب
الآن أيها المؤدب وارقد . إني فى حاجة إلى السكون
والوحدة ...

غالياس : (متذكرا) نعم . إنهما وجدا وعاشا فى عصر واحد
تحت حكم دقيانوس كما ورد فى كتاب الراهبين ...

بريسكا : قلت لك اذهب .!

غالياس : (وهو منصرف) ذهبت ... أيتها الأميرة ! (يخرج
وتبقى بريسكا ورأسها إلى عمود) .

مشلينيا : (يعود) ؟

بريسكا : (تحس به فتستدبر ملتفتة إليه) لم عدت ؟ (مشلينيا
يطرق ولا يجيب) ألم تفهم إذن ما قلت لك الليلة ؟
إني لست هي ...

مشلينيا : (في صوت خافت) فهمت ...

بريسكا : إذن لماذا رجعت ؟ (مشلينيا يطرق ولا يجير جوابا)
تكلم يا هذا .

مشلينيا : لم أستطع البعد عن هذا المكان ...

بريسكا : نعم ... هذا المكان حيث كنتما تتلاقيان . وما أشقه
عذابا على نفسك أن تفارق موضع الذكرى . أليس
هذا ... ؟

مشلينيا : (في حزن) ليته هذا !

بريسكا : إذن فأنت جئت تبحث عن أثر من آثارها تتعزى به .

مشلينيا : آثار من ؟

بريسكا : آثار من تحب ...

مشلينيا : إنها لم تمت .

بريسكا : ماذا تعنى ؟

مشلينيا : بل أنا الذى مت ... عندها ...

بريسكا : لماذا تنظر إليّ هكذا ؟ ... احذريا هذا ! إن كنت تريد

أن تتذكرها فى صورتى ! . وتتأملنى كطيف لها .

وتجعلنى تمثالا يشبهها . فأنى لا آذن لك بذلك .

مشلينيا : ليتك كنت تمثالا ولكنك كائن حى .

بريسكا : يا له من أمر مريع ! ابتعد عنى ...

مشلينيا : لا تخافى ! إنى لم أنس أن بيننا ثلاثمائة عام ! .

بريسكا : بل أفضع من هذا أنك تمزج شخصيتى بشخصيتها .

إنك لا ترانى أنا ... بل تراها هى فى ... إنها لم تمت

عندك بل أنا التى ماتت ، اذهب عنى . اذهب من هنا

على الفور أيها الرجل !

مشلينيا : (فى يأس) ا بريسكا ... ا بريسكا ...

بريسكا : صه ! لا تنادنى كما كنت تنادىها . ليس بينى وبينك

صلة ما أيها الرجل . ا فلتحفظ الاحترام الواجب لى أو

فاخرج !

مشلينيا : صفحا ... إنه اليأس ...

بريسكا : وبعد ... فماذا تريد من بقائك هنا ؟

مشلينيا : صدقت .. هذا مستحيل .. بقاى هنا ..
مستحيل ..

بريسكا : نعم ... وإن كنت تأمل فى النظر إلى وجهى فتق أنى
سوف أمتع عنك هذه الصورة وأحطم هذا التمثال .

مشلينيا : وأى نفع ؟ لقد قلتها الآن : ليس بينى وبينك صلة ما .

بريسكا : وهيات لروح أحدنا أن يتصل بروح الآخر .

مشلينيا : نعم ... نعم ... بيننا الهوة السحيقة ... هوة ثلاثائة
عام !

بريسكا : بل شىء آخر ... قلته أنت الساعة ولن أنساه : إن

الأخرى ذات الصوت الملائكى أعمق قلباً وأجمل

وداعة وأصفى نفساً ! إذن اذهب إليها يا هذا ! فإن

هذا الزمان كما قلت أنت لم يعد فيه صفاء فى النفوس

ولا عمق فى القلوب ولا وداعة سماوية ولا شىء واحد

من تلك الأشياء التى تحبها ...

مشلينيا : (فى ذهول) بريسكا ! ... !

- بريسكا : قلت لك إني أكره سماع هذا الاسم .
مشلينيا : ولكنه اسمك !
بريسكا : من سوء الحظ ! ليت كان لي اسم آخر وصورة
أخرى !
مشلينيا : لو كان ذلك لما كنت وجدتك ولكن مصري
كمصير يملبخا ومرنوش !
بريسكا : قلت لك إنك لم تجدني بل وجدتها هي ...
مشلينيا : (في شبه فرح) نعم وجدتها .
بريسكا : (تكتم تأثيرها) نعم . وجدت ورأيت وأحببت كل
ما هو لها : الاسم والصورة . أما كل ما هو لي ...
ومع ذلك فماذا يهمك ؟ إنك فرح أنك وجدتها ...
مشلينيا : نعم . وجدتها .
بريسكا : ... (تجفف دموعه سقطت من عينها برغمها) .
مشلينيا : أتبكين ؟
بريسكا : اخرج من هنا . إني لأرجو منك ...
مشلينيا : (في فرح وذهول) يا للعجب ! إني لم أرك قط

تبكين !

بريسكا : لم ترها قط تبكى ! نعم . لأن الملائكة لا تبكى . إنها رقيقة دقيقة لا تتحمل البكاء . وقطرة دمع واحدة قد تدمر تركيبها اللطيف !

مشلينيا : إذن لماذا بكيت ؟

بريسكا : لم أبك .

مشلينيا : هذه الدمعة التي رأيتها الآن .

بريسكا : أنت أعمى . لا ترى ...

مشلينيا : (في سداجة وذهول) ربما . بل إنى لأعترف بأنى لا

أرى شيئاً الآن ... ولا أعى أية حقيقة . إنى كإنسان

يعميه نور ... نور كثير وسط عالم من الأحلام ...

فمهما أر وأسمع من حقائق هائلة ، فهى عندى

بسمات أو نسيمات تمر دون أن تترك أثراً فيما أنا فيه .

ما هى الثلاثمائة عام ؟ وما هى تلك البراهين التى

تستطيع أن تثبت لى أنك لست إياها ؟ وما هو ذلك

الويل الرهيب الذى يتربص لى إذ ينكشف لى أنك

امرأة أخرى . وأن بيننا هوة ؟ كل هذا لا يهمنى

الآن لأنى عائش الآن فى حقيقة واحدة : أنى سعيد
هنا ... وأن قلبى هنا !.

بريسكا : (تتحرك ذاهبة) إذن ابق هنا .

مشلينيا : (فى خوف) وأنت ؟؟

بريسكا : وما شأنى بك ؟.

مشلينيا : (فى قنوط) لا تذهبى ! لا تذهبى سريعاً ... لا
تذهبى ...

بريسكا : ماذا تريد منى ؟ ينبغى لك أن تصحو ... آن الوقت
لأن تبصر ...

مشلينيا : لا أريد . لست أريد أن أبصر الآن . الإبصار لى
موت . أتريدى أن أموت ؟.

بريسكا : لو أنى فى مكانك لآثرت اللحاق بها فى السماء ...

مشلينيا : إنى الآن فى السماء ... معك فى السماء ...

بريسكا : (فى مرارة) فى سماء خيالك أيها المجنون !

مشلينيا : (ضارحاً) بريسكا ! لا تركينى . ! لا تركينى وإلا
سقطت فى الجحيم .

(أهل الكهف)

بريسكا : (تملع الصليب الذهبى من جيدها) أعطيك شيئا

يمنعك من السقوط ... هذا الصليب الذهبى ...!

مشلينيا : هذا الصليب الذى أهديتك إياه ؟؟

بريسكا : (تمده إليه) بل الذى أهديته إليها هى ... إلى

أرده ... فهو ليس لى ...

مشلينيا : بل هو لك .

بريسكا : لن يستطيع صدرى حمله بعد اليوم . إن جسدى

ليرتجف من لمسه الآن كما لو أنه أفعى لاذعة ...

مشلينيا : إنك تخيفيننى ...

بريسكا : (تشير إلى يده) أليست هذه اليد ذاتها التى وضعت

هذا الصليب على صدرها هى منذ ثلاثائة عام ...!

مشلينيا : ثلاثائة عام !.

بريسكا : وهاتان الذراعان الفتيتان أما التفتا حول خصرها

المرهف الدقيق ؟ ...!

مشلينيا : ماذا تقولين ؟

بريسكا : وهاتان الشفتان وما زالتنا ، مع الأسف ، جميلتين ...

ومن يدري ... لعلهما أيضاً ...

مشلينيا : اسكتى ...

بريسكا : مِمَّ خفتَ يا خطيب جدتى؟! ...

مشلينيا : هذا ... مروع! ...

بريسكا : والآن بعد هذا كله تكاد تلمس جسدى هذه اليد

وهاتان الذراعان و ...

مشلينيا : كفى ... كفى! ...

بريسكا : (تشير إلى جسدها) نعم ... هذا الجسد ! انظر

يا حبيب جدتى ... ألا تعرف كم عمره ؟ عشرون

ربيعاً فقط .

مشلينيا : (يحنى وجهه براحتيه) يا لفضاعة ما تقولين ! ...

بريسكا : أرايت ؟؟ ما دمنا فى عالم القلب فلن نرى إلا نوراً ...

ذلك هو النور الذى تحكى عنه ...

مشلينيا : نعم ... نعم ...

بريسكا : وكان ينبغى أن تذكر الجسد المادى لننزل إلى عالم

العقل فنرى الفضاعة والهول والشقاء الآدمى الذى

ينتظرنا ...

مشلينيا : نعم ... نعم ... الوداع !. يا ... يا ... لست
أجسر ! الآن أرى مصيبي وأحس عظم ما نزل بي .
لا مرنوش ولا يملحخارزئا بمثل هذا ... إن بيني وبينك
خطوة ... بيني وبينك شبه ليلة ... فإذا الخطوة بحار
لا نهاية لها . وإذا الليلة أجيال ... أجيال ... وأمد
يذى إليك وأنا أراك حية جميلة أمامي فيحول بيننا كائن
هائل جبار : هو التاريخ . نعم ، صدق مرنوش ...
لقد فات زماننا ونحن الآن ملك التاريخ ... ولقد أردنا
العودة إلى الزمن ولكن التاريخ ينتقم ... الوداع !.
بريسكا : (ترنو إليه طويلا وهو ينصرف حتى يختفى فتقول في
صوت خافت عميق) : الوداع يا مشلينيا !.

الفصل الرابع

(منظر الفصل الأول عينه : الكهف
« بالرقيم » . يملخا و مرنوش و مشلينيا
ممددون على أرض المكسان كالموتى أو
المحضرين ... والكلب قطمير قابع على
مقربة منهم سكون عميق ...)

مشلينيا : (فى صوت ضعيف) مرنوش .! (مرنوش لا
يجيب) يملخا .! (يملخا لا يجيب) أحس
الموت ... (لا يسمع جواباً — يسكت لحظة)
أين نحن يا مرنوش ؟ نحن فى الكهف ... ولم نغادر
قط الكهف ... كم لبثنا يا مرنوش ؟ (لا
جواب) يوماً أو بعض يوم ؟ (ما من

مجيب) يملخا ! أين الطعام الذى ذهبت لتأتى
به ؟ إلى جائع ... أصابنى الهزال ...
سأموت ... (لا جواب) كلا ... ليس الجوع
يؤلمنى بل هواء المكان . أكاد أختنق أكاد أختنق ها
هنا ... إنا رقدنا كثيراً ونمنا طويلا . انهضنا أيها
البليدان ! ... لقد رأيت أحلاما مفرعة ... (لا
يحييه أحد فينهض ويتلمس باحثاً عن مرنوش ثم
يهزه بيده) مرنوش ! ... مرنوش ...

- مرنوش : (فى صوت ضعيف جداً) آه ... من ...
مشلينيا : أنا مشلينيا ...
مرنوش : دع ... دعنى ...
مشلينيا : ما بك ... ؟ أمرىض ؟ ...
مرنوش : إنه ... يقترب ...
مشلينيا : من ... ماذا ؟ ...
مرنوش : المركب ...
مشلينيا : أى مركب ؟ !

مرنوش : الذى سيحملنا إلى ... إلى حيث يجب أن نكون ...

مشلينيا : لا ... يا مرنوش ، ليس هناك مركب مقبل . بل يجب أن نذهب نحن على أقدامنا ... إننا نمنا طويلا ... وآن لنا أن نخرج ...

مرنوش : نخرج؟؟

مشلينيا : نعم ... نعم . إن المديحة ولا شك قد انتهت ودقيانوس قد هدأ نائره ...

مرنوش : رباه ...! أهو ... بحران الموت!؟

مشلينيا : نعم أنت فى بحران لأنك تتكلم عن مركب .! لعله الضعف! ... أنا كذلك أحس كأن قدمى لا تستطيعان حملى ... ومع ذلك ينبغى أن نخرج من هذا المكان ... فقد حلمتُ أحلاما مزعجة ...

مرنوش : ماذا ...؟

مشلينيا : نعم يا مرنوش . لقد رأيت كأن أناساً ذوى منظر غريب دخلوا علينا الكهف واقتادونا إلى القصر .

فإذا نحن نرى هناك كل شيء قد تغير . فالملك ليس
بدقيانوس . وطرسوس ليست بطرسوس . يا
للويل ! وبريسكا ... حتى بريسكا رأيتها فلم
تعرفني ، وزعمت أنها تشبهها وليست هي ...
وأن الأخرى ماتت عذراء منذ ثلاثمائة عام ! وأنا
عشنا كذلك ثلاثمائة عام !

- مرنوش : (في صيحة) آه ... أهذا حلم ١٢ .
مشلينيا : مزعج كما ترى ...
مرنوش : أحلم هو أم حقيقة ؟
مشلينيا : حقيقة ١٢ ؟
مرنوش : نعم ... لقد خرجنا حقيقة ثم عدنا ...
مشلينيا : متى ١٢ إنك لفي بحران أيها المسكين !
مرنوش : بل أنت ... بل أنت ...
مشلينيا : كيف ؟ أكان يقظة كل ما قلت ! أعشنا ثلاثمائة
عام ! وبريسكا ليست بريسكا ؟ ما هذا
الخرف ؟ ما هذا الخلط ؟ أيستطيع عقل أن يتخيل

كل هذا ؟.

مرنوش : إني رأيتُ عين ما رأيتَ ... أكنت أحلم أنا أيضاً ؟

مشلينيا : ماذا حلمت أنت ؟

مرنوش : أنهم دخلوا علينا كما قلت وأن البلد غير البلد وأن

أهلى ... آه ... يا للويل ! ... أن مكان بيتى سوق

للسلاح ، وأن ولدى مات فى سن الستين منذ ثلاثائة

عام وقد شاهدت قبره المتهدم بعينى رأسى !.

مشلينيا : مات فى سن الستين !. ابنك الصغير ! وأنت لم تبلغ

بعد الأربعين ! أليس هذا خلط حلم !

مرنوش : نعم ... لا ... رباه أحلم هذا حقاً أم يقظة ؟!

مشلينيا : بل حلم أيها المسكين .

مرنوش : إذن ولدى لم يزل حياً ... كما تركته ؟

مشلينيا : نعم ... وبريسكا لم تزل خطيبتى ، وستلقى بنفسها

فى أحضانى إذ ترالى ؟

مرنوش : إنهما فى قيد الحياة ... لست أصدق ... بل ولمَ لا ؟

إننا لم تغادر الكهف . فكيف تمر ثلاثائة عام فى لحظة ،

ولكن لا ... بل نعم ... رباه ... الرحمة !... لقد
فقدت التمييز ...

مشلينيا : ثق أنه حلم .

مرنوش : فلنسل يملبخا ... يا يملبخا ؟ (يملبخا لا يجيب) أيقظ
يملبخا !.

مشلينيا : (يهز يملبخا) قم ... أيها الراعى !... (يملبخا
يتحرك ويئن) استيقظ !...

يملبخا : (في صوت ضعيف) أين ... أنا ؟

مشلينيا : في الكهف .

يملبخا : ألم أمت بعد ؟

مرنوش : يملبخا !...

يملبخا : من ... يناديني !...

مرنوش : يملبخا ... ! أحلم هو أم حقيقة ؟

مشلينيا : أجب يا يملبخا !. أخرجنا حقا من هذا المكان !؟

يملبخا : ماذا ... أسمع ؟

مشلينيا : ها نحن أولاء الثلاثة ... وقطمير رابض معنا ... وقد

كنا نائمين ...

يمليخا : يا للمسيح !... أكان حلماً ... ؟

مشلينيا : أنت أيضاً رأيت ؟. حدثنا بما رأيت .

يمليخا : رباه !

مرنوش : تكلم يا يمليخا !.

يمليخا : ألم يدخلوا علينا إذن حقيقة ويقتادونا إلى القصر ؟

مرنوش : أنت أيضاً رأيت ذلك !؟

يمليخا : وأعجب منه ... وأشد هولاً ! طرسوس ليست

بطرسوس بل عالم آخر وجيل آخر لم أستطع الحياة

فيه ... لا أنا ولا قطمير كلبي ...

مشلينيا : عجباً !

مرنوش : مشلينيا ! أو يمكن أن نحلم جميعاً حلماً واحداً

متشابهاً .!؟

يمليخا : أكان هذا حلماً ؟ مرنوش ! مشلينيا ! أما خرجنا

حقيقة من الكهف ! وهذا الرعب الذي رأيت في

المدينة أحدث كل هذا في رأسي وأنا نائم هنا .!؟

مرنوش : مشلينيا ! أيرى ثلاثتنا حلما واحدا ؟
مشلينيا : وما يمنع ؟ نحن في مكان واحد وفي حال واحدة تتسلط
علينا أفكار واحدة .

يمليخا : (في فرح) إذن كان حلماً ! وإذا خرجنا الآن نجد
عالمنا الذي نستطيع أن نعيش فيه .

مرنوش : (في فرح بالغ) وافرحتاه ولدي حتى ينتظر هدايا
ولعبا . ١٩ .

مشلينيا : وبريسكا ... يا للهول ! إني أرتعد مما رأيت في
الحلم ! إنها انقلبت حفيذة من أحفادي وإذا يدي
لا تستطيع أن تمتد إلى جسدها ويلاه ... ! الجسد ...
الجسد ... أذكر هذه الكلمة . إنها هي التي فاهت بها
في ذعر ، وفهمت عندئذ أن شيئاً يفصل أحدنا عن
الآخر فهربت يائساً إلى الكهف لأموت جوعاً ..

مرنوش : نعم ... نحن كذلك هربنا إلى الكهف لثموت
جوعاً ...

يمليخا : يا للمسيح ! . نعم ... نعم ...

مشلينيا : لعل كل هذا من بحران الجوع . لقد نمنا منذ لجأنا إلى
الكهف فراراً من دقيانوس ... فلم تذق من ذلك
الحين شيئاً ...

مرنوش : بحران الجوع ! أذكر أننا بعثنا يملبخا إلى المدينة ليشتري
لنا طعاماً ...

يمليخا : نعم ... نعم ...

مشلينيا : كان هذا أيضاً من البحران .

يمليخا : لقد خرجت فصادفت فارساً صياداً ذا هيئة غريبة !
رباه ... نعم هو بحران !.

مرنوش : حلم ... بحران ... حقيقة ؟ يا إلهي ! لم أعد أستطيع
التمييز ...

مشلينيا : نعم . هو حلم كالحقيقة .

يمليخا : وواضح جلي ... كأنه حقيقة ...

مرنوش : مشلينيا ...! مشلينيا . كيف عرفت أنه حلم ؟!

مشلينيا : إن لم يكن ما رأينا حلماً ... فنحن الآن في حلم ...

مرنوش : ولم لا نكون الآن في حلم ؟؟

- يمليخا : نعم ... نعم يارب ! ما الحد الفاصل بين الحلم
والحقيقة ؟ لقد اختبل عقلي رحماك أيها المسيح !
- مشلينيا : أتريدان القول إنا عشنا ثلاثمائة عام في الحقيقة ؟ ...
- مرنوش : (ويمليخا معاً) ثلاثمائة عام ! ...
- مشلينيا : الحلم وحده هو الذى يستطيع فيه الإنسان أن يعيش
مئات الأعوام دون أن يشعر بمرها ...
- مرنوش : صدقت يا مشلينيا ...
- مشلينيا : أحمد الله أنه حلم ... وإلا كنت فقدت بريسكا إلى
الأبد ...
- مرنوش : نعم ... وافرحته ! ... وأنا ... كذلك ...
- يمليخا : وأنا أيضاً ... إذن غنمى لم تنزل ترعى الكسلاً في
موضعها ؟.
- مشلينيا : (بعد لحظة ... في صوت المتأمل المفتون) ومع ذلك
يا مرنوش ...
- مرنوش : ماذا ... ماذا ؟
- مشلينيا : مع ذلك . شد ما كان حلماً لذيذا ! ... !

مرنوش : لذيذا ؟ ماذا تقول ؟

مشلينيا : لم أر يربسكا قط على مثل ذلك الجمال والذكاء الذى رأيت فى الحلم ! لقد كان بيدها كتاب وكان حديثها حديث فطن هذبتة القراءات . هذا عجيب ! إن بريسكا الساذجة البسيطة التى كنت أقرأ لها خفية الكتاب المقدس وهى لا تكاد تفهم عنه ... قد قلبها الحلم أمام عيني امرأة ذكية الفؤاد عالية الفكر ... ما أجملها ! نعم ما أجملها ! مرنوش ... مرنوش ...

مرنوش : ماذا بك ؟

مشلينيا : مرنوش ! أخشى أن أقول إني ... أحببت بريسكا التى فى الحلم ...

مرنوش : ما هذا الهديان ؟ ...

مشلينيا : (متهدأ فى لذة) كم يجمّل الحلم الأشياء والأشخاص !

مرنوش : وكم يشوهها وييشعها أيضا .!

مشلينيا : نعم ... نعم ... إنها كذلك كانت فى الحلم كالغريبة

عنى لا تصلها بى صلة ... ثم فكرة الشبه ... وفكرة
الحفيدة ... تلك كلها من فنون الحلم التى يشع بها
الحقيقة . نعم يا مرنوش ... إن الحلم أحياناً كالفن لا
ينقل الحقيقة كما هى بل يسبغ عليها من عبقريته جمالا لم
يكن أو بشاعة لم تكن !

مرنوش : صدقت ... ويرفع الأشخاص والأشياء ... لقد
رأيتُ كأنهم يدعوننى بالقديس !

مشلينيا : عجبا ! وأنا كذلك ...

مرنوش : إني أفضل الحقيقة على خفضها وضآلتها ...

مشلينيا : وأنا أيضا ... ولكن ... وأسفاه ! لو أنها كانت فى
الحقيقة على هذا الجمال والذكاء ... ما أجملها ! لو
رأيتها يا مرنوش ! ما أجملها وهى تتكلم ... لقد
كانت فى ثوب غريب لكنه جميل ... ولقد ارتديتُ أنا
كذلك ثوباً غريباً جميلاً ...

يمليخا : (يئن متوجعاً) آه ...

مرنوش : لمن هذا الأنين ؟ يمليخا ! ...

- مشلينيا : أمريض أنت يا يميلخا ؟ ...
- يميلخا : (في صوت كالحشرة) كلا ... بل ...
- مشلينيا : إنه الجوع ... إني أحس ضعفاً هائلاً ... لماذا لا نبعث أحداً يشتري لنا طعاماً ؟
- مرنوش : نعم ... نعم ... ويستطلع لنا الخبر ... اذهب يا يميلخا ...
- يميلخا : آه ... يا للمسيح ! ... الرحمة ...
- مرنوش : ما بك ... يا يميلخا ! ... (يميلخا يلفظ آهة)
- مشلينيا : كلنا ضعيف مثلك ... قم ... انهض ... و اذهب واطعم مما تشتريه كي تسترد قوتك ...
- مرنوش : نعم ... قم يا يميلخا ! ...
- يميلخا : (يحاول النهوض) آه ... سأنهض ... سأ ...
- آه ... (يقع على الأرض محشرجاً) .
- مشلينيا : يميلخا ! يميلخا ...
- مرنوش : (في ارتياح) سمعت صوت سقوط جسم ...
- مشلينيا : (في صوت خافت مرتاع) لمن هذه الحشرة ؟ يميلخا !
- (أهل الكهف)

يمليخا : إني ... أموت .

(مشلينيا ومرنوش في سكون رهيب)

يمليخا : (بعد لحظة) الوداع !... أشهد الله والمسيح ... أني

أموت ولا أعرف ... إن كانت حياتي ... حلما ...

أم ... حقيقة ...

(صمت)

مرنوش : (بعد لحظة) يمليخا ...

مشلينيا : (بعد لحظة) يمليخا ...

(سكون ولا من مجيب)

مرنوش : مات ...

مشلينيا : (بصوت خافت جزع) نعم ...

مرنوش : (بعد لحظة صمت) مشلينيا ... اسدل على وجهه

غطاء !

مشلينيا : أي غطاء !...

مرنوش : نخذ جزءاً من ثيابي ... إني أكاد أختنق فيها ...

مشلينيا : (في صوت متغير) أنا أيضا ... أختنق ...

- مرنوش : (صائحا وقد لمس ثيابه) مشلنيا ... مشلنيا ...!
- مشلنيا : ماذا ؟
- مرنوش : مشلنيا ...! ثياني .!
- مشلنيا : ما بك يا مرنوش ؟
- مرنوش : رباه . مشلنيا .!! أفحص ثيابك !
- مشلنيا : (بعد لحظة — في رعب) مرنوش !. نعم ...
- نعم ... أدركت ... أدركت يا للهول ؟ أمممكن
هذا ؟
- مرنوش : إنها ثياب الحلم يا مشلنيا ...
- مشلنيا : أجل يا مرنوش ...
- مرنوش : ما معنى هذا ؟.
- مشلنيا : لست أدري . رباه إني خائف !
- مرنوش : الآن ... لم يبق شك ...
- مشلنيا : (في خوف) فيم يا مرنوش ... ؟ .
- مرنوش : في أنها كانت يقظة ... (مشلنيا لا يجير جوابا)
- كانت حقيقة ... (مشلنيا لا يجير جوابا) ماذا

دهاك ؟.

مشلينيا : حقيقة !؟

مرنوش : عذب نفسك أيها المسكين ! أما أنا فلا يهولني أن أعلم هذا . إني إنما رجعت لأموت لأن قلبي كان قد مات . إنك أنت الذي أوهمنا أنه حلم ، لقد أمكنك أن تتخدع منا العقل ؛ ولكن القلب لم يتخدع لأن قلبي كان قد مات ...

مشلينيا : (يثن) مرنوش !...!

مرنوش : اعترف أيها البائس أنك ما كنت رجعت إلا لتموت !.

مشلينيا : نعم يا مرنوش !

مرنوش : إذن ما الذي أوحى إليك بهذا !؟

مشلينيا : أقر بأن قلبي لم يكن قد مات ...

مرنوش : نعم ... القلب ... نافورة الأحلام والآمال !! ماذا

كنت تؤمل بعد أيها الشيخ ؟؟

مشلينيا : لا شيء . لم أكن أؤمل في شيء ... لقد رجعت وأنا

فاقد الأمل في الحياة ، ولكن ... الآن أحس أنني أحب

يا مرنوش . أحب بكل ما يستطيعه قلب ...

مرنوش : تحب ؟!

مشلينيا : سيان عندي أن تكون هي أو لا تكون . أحب هذه

المرأة ذات الكتاب التي رأيتها ... في اليقظة !

مرنوش : أنت جننت يا مشلينيا ...

مشلينيا : لم أجن . إني فتى ولى قلب فتى . قلب حى . كيف

تريد أن أدفن قلبى ؟ كيف أدفن نفسى حيا ، ومن

أحب على قيد الحياة ، لا يفصلنى عنها فاصل ؟! ...

مرنوش : بل يفصلك عنها فاصل .

مشلينيا : الزمن ؟

مرنوش : (فى صوت خطير هائل) نعم ...

مشلينيا : (فى يأس) آه ... يا مرنوش ! الرحمة ... أريد أن

أعيش ... ارحمنى يا مرنوش ! أريد أن أعيش !

مرنوش : سوف تعيش ...

مشلينيا : (فى فرح) أصبح يا مرنوش ؟ أستطيع أن أعيش !

مرنوش : نعم ... بين جلدتى كتاب !

مشلينيا : (يائسا) آه ...

مرنوش : لا فائدة من نزال الزمن . لقد أرادت مصر من قبل
محاربة الزمن بالشباب ... فلم يكن في مصر تمثال
واحد يمثل الهرم والشيخوخة ، كما قال لي يوما قائد
جند عاد من مصر ، كل صورة فيها هي للشباب من
آلهة ورجال وحيوان ... كل شيء شاب ... ولكن
الزمن قتل مصر وهي شابة وما تزال ولن تزال ... ولن
يزال الزمن ينزل بها الموت كلما شاء ، وكلما كتب
عليها أن تموت ... (مشلينيا لا يجيب) مشلينيا ! .
(مشلينيا لا يجيب ويتكلم مرنوش بعد لحظة في
صوت ضعيف) مشلينيا ! إن الكلام قد أنهك ما بقى
من قواى . أحس البرودة تسرى في جسدى ... قد
نسيتنا أنا في طريق الموت منذ أسابيع ! (مشلينيا لا
يجيب — مرنوش في صوت خائر) مشلينيا لماذا لا
تجيبنى ؟

مشلينيا : ماذا تريد منى ؟

مرنوش : (ضعيف الصوت) أصغ إلىّ ... لا تحاول
المستحيل .

مشلينا : لست أحاول شيئا .

مرنوش : (متخاذل الصوت) افهم أنك رجل ميت .
مشلينا : أفهم ...

(صمت عميق)

مرنوش : (في شبه أنين) مشل...ينيا ... (مشلينا لا
يجيب) سأذهب ... يا ... مشلينا ...

مشلينا : (كأنها يخاطب نفسه) الزمن ! ما هو الزمن !؟

مرنوش : (يحضر) مشلينا ... ضع ... يدي . اليسرى في

يد يميخا ... (مشلينا واجم) مات المسكين ...

ولم ... يعرف الحقيقة ... ومع ذلك ... هل

عرفناها ... نحن ؟

مشلينا : ماذا تعنى ... يا مرنوش ؟.

مرنوش : أحلام ... نحن أحلام الزمن ...

مشلينا : الزمن يا مرنوش ؟.

مرنوش : نعم ... الزمن يحلمنا ..:

مشلينيا : كى يمحونا بعد ذلك ١؟

مرنوش : إلا من استحق الذكر فيبقى فى ذاكرته ...

مشلينيا : التاريخ ١؟

مرنوش : نعم .

مشلينيا : (فى قلق) أهذا هو كل ما نرتجيه بعد الموت ؟ أهذا كل

تلك الحياة الأخرى ... ١؟

مرنوش : نعم .

مشلينيا : (فى قلق) مرنوش ؟ أنت إذن لا تؤمن بالبعث ؟؟؟

مرنوش : أحقق ! أو لم نر بأعيننا إفلاس البعث !؟

مشلينيا : أستغفر الله ! أنت الذى عاش مسيحياً تموت الآن

كوثنى ١؟

مرنوش : (فى صوت خافت) نعم ... أموت الآن ...

مشلينيا : مجرداً عن الإيمان ...

مرنوش : مجرداً ... عن كل شىء ... عارياً كما ظهرت ... لا

أفكار ولا عواطف ... ولا عقائد ...

مشلينيا : رحمة لك أيها التمس !
مرنوش : (مشلينيا ينظر إليه ولا يجيب) وقتما تلحق بي ...
ضع يدك ... في يدي اليمنى ...
مشلينيا : حاشا أن أضع يدي في يد وثني .! .
مرنوش : إذن ... (مشلينيا ينظر إليه صامتاً وهو يموت) ...
الوداع .! . (وحشرجة ثم صمت) .
مشلينيا : (بعد لحظة) مرنوش !... (مرنوش لا يجيب)
مرنوش ! صديقي !. أخى !... (لا يسمع جواباً)
مات ... مرنوش ! (ينظر إلى السماء) اللهم ارحمه
رحمة واسعة ! إنه قانط فقد قلبه ولا يعي ما يقول !
(صمت عميق) لم يبق سواى وكلب الراعى !
ذهب يملخا ولم يذكر كلبه ... (ينادى)
قطمير ...! قطمير ...! (لا يجيبه سوى الصدى)
لعله مات كذلك وهو رابض فلم يتبه إليه أحد ! ولم
يستطع المسكين مقاومة الجوع (لحظة صمت) هو
أيضاً عاش حياته وذهب كأنه ظل كلب مرّ فوق

حائط ١. (لحظة) ما الفرق بين قضمير وظله ١٩.
(لحظة تأمل) رباه ! أخشى أن يكون مرنوش قد
أصاب ! (لحظة تأمل أخرى) كلا . كلا ... لقد
فقد مرنوش البصيرة .. إنا لسنا حلماً ... لا ... بل
الزمن هو الحلم ... أما نحن فحقيقة ... هو الظل
الزائل ونحن الباقيون ... بل هو حلمنا . نحن نحلم
الزمن . هو وليد خيالنا وقرحتنا ولا وجود له بدوننا .
إن تلك القوة المركبة فينا ، وهي العقل ، منظم
جسمنا المادى المحدود ... آلة المقاييس والأبعاد
المحدودة ... هو الذى اخترع مقياس الزمن . ولكن
فينا قوة أخرى تستطيع هدم كل ذلك : أو لم نعش
ثلاثمائة عام في ليلة واحدة فحطمنا بذلك الحدود
والمقاييس والأبعاد ؟ نعم ها نحن أولاء استطعنا أن
نمحو الزمن ... نعم تغلبنا عليه ... (لحظة)
لكن ... وأسفاه ! بريسكا : ما يحول بينى وبينها
إذن ؟ نعم محوناه ، الزمن ينتقم . إنه يطردنا الآن

كأشباح مخيفة ويعلن أنه لا يعرفنا ويحكم علينا بالنفى بعيداً عن مملكته ... رنى ! هذه المباراة الهائلة بيننا وبين الزمن أتراها انتهت بالنصر له ؟! (بعد لحظة منهوكا) آه ... لقد تعبت ... تعبت من الكلام ومن التفكير ... ومن الحياة . بل من ... الحلم ... هذه ليست الحياة . بل هى حلم مشوش مضطرب ... إلى الحقيقة إذن ... الصافية ! الجميلة ! نعم إن الحقيقة لا يمكن أن تكون بهذا الاضطراب ولا يمكن كذلك ألا تكون هناك حقيقة ... (لحظة) أشهد الله ... أنى أموت مؤمناً .! أشهد المسيح أنى أؤمن بالبعث ! لأن لى ... قلبا يحب . (صمت) . (تظهر بعد لحظة بريسكا يتبعها غالياس) .

بريسكا : (تقف جامدة فى رهبة) ! يخيل لى أنى سمعت صوتنا هنا ...

غالياس : مستحيل يا مولاتى ! إنهم جثث هامدة كما ترين ... ولقد مضى نحو شهر وهم محبوسون بلا طعام .

- بريسكا : صوت كالحشرة يتكلم ...
- غالياس : لعله صدى دخولنا الكهف ...
- بريسكا : غالياس !... أنت مستعد لتنفيذ ما قلت لك ؟
- غالياس : مولاتي ! أتوسل إليك أن تتفكرى ...
- بريسكا : شبتت من توسلاتك شهراً يا غالياس. أريد أن أعرف
الآن وقد جاء يوم العمل أمستعد أنت أم لا ؟
- غالياس : إني دائماً مستعد لتقديم حياتي القصيرة لك يا مولاتي ...
- بريسكا : ألم يرني أحد وأنا آتية هنا ؟.
- غالياس : كلا يا مولاتي ... لكن ...
- بريسكا : ماذا ؟
- غالياس : الملك ... إنه يتأهب الساعة للخروج في الموكب وقد
يسأل عنك في القصر لتخرجى معه ... إن هذا
مهرجان دينى عام وأنت صاحبة الفكرة في إقامته ؟
- بريسكا : بل الشعب بمجد قديسيه .
- غالياس : مولاتي !... أأست أنت الموحية إلى الملك ببناء معبد
عليهم ؟

بريسكا : وبعد ؟

غالياس : قد يطلبك الملك إلى جانبه اليوم إذ يحتفون بسد باب الكهف ووضع الأساس ؟

بريسكا : لقد دبرت الأمر ... واعتذرت بالمرض . (صمت عميق يسمع فيه صوت حشرجة) (بريسكا في رهبة) غالياس !! أسمعت ؟ ...

غالياس : ماذا ... يا مولاتي ؟

بريسكا : إلهي ؟ أهنا ... ما زالت حياة ... (تردد ثم تقدم خطوة) .

غالياس : إلى أين يا مولاتي ! لا تذهبي ...

بريسكا : دعني ... دعني ... مشلينيا ... (تندفع باحثة عنه بين الجثث) .

مشلينيا : (في صوت خافت) بريسكا ...

بريسكا : (في فرح جنوني) تلفظ اسمي ! أنت حي ! أنت حي بعد ؟؟ مشلينيا ... مشلينيا ... لا تمت لا تمت ... ! غالياس أسرع ... قليلا من الماء ... قليلا

من اللبن ... من الطعام ... أسرع ... أتوسل
إليك . أتوسل إليك ... (غالياس يخرج مسرعاً) .

مشلينيا : (في بظء وجهه) لا ... نفع ...

بريسكا : بل عش ... عش لي . لا تمت . إني أحبك .

مشلينيا : الز ... من ...

بريسكا : الزمن ؟ لا شيء يفصلني عنك : إن القلب أقوى من
الزمن !

مشلينيا : أحلم ... آخر ... سعيد ...؟

بريسكا : بل حقيقة ... حقيقة خالدة يا مشلينيا ... أنا

بريسكا . وليس يهمني بعد أن أكون هي أو لا أكون :

بل من يدري لعل هي ! إن الشبه بيننا ليس مصادفة ،

ومقابلتنا ليست مصادفة كذلك ... مقابلتنا في هذا

الجيل ! إنك بعثت لي وبعثت أنا لك ... بعثاً من نوع

آخر ... قم ... واحي ... وعش ...

مشلينيا : يا للسعا ... دة ...!

بريسكا : تجلد يا مشلينيا تجلد ...

مشلينيا : (يجاهد) نعم ... لست أريد ... لست أريد
الموت ... رباه ! أنقذنى ... ها هى السعادة ...
ها ... قد قهرنا ... الزمن ... القلب قهر ...
(تخونه قواه ...)

بريسكا : (وهى ترفع رأسه بين ذراعيها) نعم ... نعم القلب
قهر الزمن . انهض يا مشلينيا . إني منذ حادثك للمرة
الأولى وكأني أحبك منذ ثلاثمائة عام وسوف أحبك إلى
ألف الأعوام ... قم بالله .. تجلد .. تجلد ...
تجلد !

مشلينيا : وا ... أسفاه ...
بريسكا : (تخنو على وجهه وتنظر إليه) فات الأوان ؟ تريد أن
تبكى ولا تستطيع ؟ لا بأس ! فلتهدأ نفساً ... لم
ينته بعد كل شيء ...

مشلينيا : بر ... يسكا ...
بريسكا : تم يا مشلينيا العزيز ... لن ينتهى كل شيء .
مشلينيا : إلى ... الملتقى ...

بريسكا : نعم إلى الملتقى ...

(تضع رأسه على الأرض في رفق وتطرق باكية في صمت) .

غالياس : (يدخل مسرعاً حاملاً وعاء) ها هو ذا وعاء من اللبن سرقت من أحد البنائين خارج الكهف !
(بريسكا لا تجيب) مولاتي ؟ . (بريسكا لا تتحرك ويلتفت المؤدب إلى الجنة) رباها ! فات الوقت !

بريسكا : (في صوت باك لا يكاد يسمع) نعم ...

غالياس : (ينظر إليهما في صمت لا يجرؤ على الكلام وأخيراً :) مولاتي ! أتبكين ؟ . (بريسكا لا تجيب)
إنك جئت يا مولاتي على أنه ميت منذ أسابيع ...

بريسكا : ليتنى وجدته كذلك ...

غالياس : قضى الأمر ! ماذا يجدى إذن الآن الحزن والبكاء !

بريسكا : لست أبكى لنفسى يا غالياس ... أنت تعلم أنى لم أشأ
الجمىء إليه وهو على قيد الحياة ، وانتظرت عن قصد
طول هذا الشهر ... ألم أقل لك محال أن يجمعنا الحب

في هذا العالم أو على الأقل في هذا الجيل ؟

غالياس : إذن لم تبكين يا مولاتي ؟

بريسكا : آه ... يا غالياس ! لو أنك تحس وتفهم ...
يا للقسوة ! إني أبكى تلك السعادة التي لمعت كالبرق
لحظة ثم انطفأت ... وهذا المشهد المؤلم الساعة ...
مشلينيا يجالد الموت ويتمسك بالحياة ويتشبث بها ...
وفاضت روحه في اللحظة التي ظفر فيها بالسعادة ،
ولفظ النفس الأخير وهو يأمل في الملتقى . نعم إلى
الملتقى يا حبيبي مشلينيا ! هنا محال ... لكن في جيل
آخر حيث لا فاصل بيننا .

غالياس : في جيل آخر ؟

بريسكا : نعم ... أو في عالم آخر ...

غالياس : صدقت ... صدقت يا مولاتي . إني أعجب بإيمانك
هذا ...

بريسكا : إياك وأن تشك يا غالياس ...

غالياس : حاشا ... يا مولاتي ! إني مؤمن ... مؤمن ... غير
(أهل الكهف)

أن ...

بريسكا : ماذا ؟

غالياس : غير أن إيمانك يبهرني . إنك تتكلمين كالواثقة بحقيقة ما تقولين . بل كمن رأت وعاشت مرة في ذلك العالم الآخر ! لا يا مولاتي ... إيمانك من نوع فوق طاقتي ... وفوق طاقة البشر فهمه ... ولعل صلتك بالقديس والقديسين ...

بريسكا : كلا . ليس هذا بالسبب أيها الأحق .

غالياس : نعم ... أعرف ما تريدن ... ولكن ...

بريسكا : ولكنك لا تفهم ولا تحس ولا تصدق .

غالياس : أصدق يا مولاتي ... أصدق ... لكن ربما لا أفهم ولا أحس ...

بريسكا : وما النفع أيها المسكين ؟

غالياس : مولاتي ! ما هو الحب الذي يفعل هذه الأعاجيب ويخلق فوق الأجيال كما تخلق ...

بريسكا : كما تخلق الفراشة فوق الأزهار ...

غالياس : نعم ... نعم ... ما هو ؟

بريسكا : هو ... هو ... أيها الشيخ الفاني ... ماذا أقول لك ؟
وكيف أخبرك به ؟

غالياس : يخيل إليّ أني قرأت شيئا عنه يا مولاتي ...

بريسكا : لو كنت قرأت على الأقل قصة أوراشيما كما قرأتها أنا
منذ قليل ...

غالياس : قصة أوراشيما ؟ وماذا فيها غير ما أعرف .

بريسكا : إنك لا تعرف شيئا . ألا تذكر أني سألتك أين كان
أوراشيما مدى القرون الأربعة ، فلم تجب ؟ آه ... لو
أنك قصصت عليّ ذلك ... (لحظة ثم تقول كأنها
تري أمامها ما تقص :) هناك ... على ساحل يوشا
يمتد البحر ؛ بحر أزرق ساكن في يوم صيف ... وقد
خرج الفتى الصياد أوراشيما بقاربه ورمى بشباكه
وانتظر ... انتظر أكثر النهار فلم يظفر بصيد ...
وعند الأصيل ، وقد حان وقت العودة ... عودة
حزينة ولا ريب ... غير موفقة . إنى أراها ... أرى

كل ذلك الآن بخيالي ... نظر أوراشيما فألقى
سلحفاة بحرية قد وقعت في الشرك ، ففرح بها أى
فرح ... ولكنه ذكر أن السلحفاة مقدسة عند ملك
البحر ، وأن عمرها ألف عام ، ويقولون عشرة
آلاف ، وأن قتلها لهذا حرام ، فخلصها الفتى في رفق
وأعادها إلى الماء بعد أن تلا صلاة رقيقة حارة للآلهة .
ولم يصب شيئا بعدها ، واشتد الحر وعم الصمت
والسكون البحر والهواء وكل شيء ، فأخذت
أوراشيما سينة من النوم ؛ فاضطجع تاركا القارب
يسير الهوينا إلى غير قصد ... عند ذلك صعدت من
البحر ، كما يصعد الحلم ، غادة جميلة ذات شعر أسود
طويل يتدلى فوق أكتافها البيضاء ، وأخذت تقترب
منزلة على سطح الماء في لطف النسيم حتى وقعت على
رأس الفتى الناعس ... فانحنت عليه وأيقظته بلمسة
خفيفة ثم قالت له : « لا تفرع ! إن أبى ملك البحر
أرسلنى إليك أشكرك على طيب قلبك إذ أنت الآن

أعدت الحياة إلى سلحفاة . والآن تعال معي إلى قصر
أبى فى الجزيرة التى لا يموت الصيف فيها أبدا . وإذا
شئت فأبى أصير زوجتك ونعيش سعيدين طول
الخلود ... » عجب أوراشيما مما سمع وبهره جمال
بنت ملك البحر فأسلم نفسه لها ، فتناولت أحد
المجذافين وتناول هو الآخر وجعلا يسيران فى صمت ،
متجهين بالقارب جهة الجنوب حيث تلك الجزيرة
التى لا يموت الصيف فيها أبداً ... وبلغاها أخيراً .
فأبصر الفتى فيها ما لم تر عين ، من قصور مرصعة
بجواهر البحر النادرة وكنوزه الباهرة ومن جمال
عجيب يكتنفه فى كل مكان ... وأقيمت له مآذب
وتلقى تحفاً غريبة وهدايا ثمينة من أهل مملكة البحر ...
ثم أصبحت بنت ملك البحر زوجة له بعد أفراح دامت
عاماً ... وغمرت أوراشيما سعادة لم يصح منها إلا
بعد ثلاثة أعوام ... عندئذ تذكر أهله الذين تركهم فى
بلدة بوشا منذ خرج للصيد ... فتوسل إلى امرأته أن

تدعه يذهب يوماً واحداً إلى وطنه يرى أهله ويعود إليها
فلا يفارقها بعدئذ إلى الأبد ... فبكت امرأته في
صمت ثم قالت له : « ما دمت تريد الذهاب
فافعل ... ولكنى أخشى ذهابك كثيراً لأنى أخاف أن
لا يرى أحدنا الآخر بعد الآن ... ولكنى سأعطيك
علبة صغيرة قد تعينك على العودة إليّ إذا فعلت ما
أوصيك به : لا تفتحها ... لا تفتحها مطلقاً ...
مطلقاً ... مهما يحدث من أمر لأنك إن فتحتها فلن
تستطيع رؤيتى أبداً » فوعدها أوراشيما خيراً وودعها
ثم ابتعد عنها ... وقد جعلت تتلاشى خلفه كالخلم
تلك الجزيرة التي لا يموت الصيف فيها أبداً ... ووصل
إلى بلده فإذا هو يرى عجبا : كل شيء قد تغير ! وعبثا
حاول الاهتداء إلى بيت أهله ، وعبثا حاول تعرف
وجه واحد من تلك الوجوه الغريبة التي صادفها في
الطريق تنظر إليه نظرات الدهشة والعجب ... ومر
بشيخ مسن فسأله أوراشيما عن أسرته فبغت الشيخ

وبهت لحظة ثم صاح به : « من أين أتيت أيها الفتى حتى تجهل أسطورة أوراشيما ؟! إن أوراشيما خرج للصيد منذ أربعمائة عام فلم يرجع ، وإذا زرت المقابر وجدت تذكارا له من الحجر قد أكلته السنون » . عند ذلك اختلط على أوراشيما الأمر وظن أنه يرى حلما أو سرايا أو سحرا ... وطفق يسائل نفسه : « ما معنى هذا » ؟ وذكر العلبة الصغيرة التي معه وخطر له أن فيها ما قد يكشف له هذا السر الغامض ... سر الزمن ... سر رؤيته الأربعمائة عام ثلاثة أعوام ... لكنه تذكر قول زوجه بنت ملك البحر ووعدده لها ، فأحجم قليلا . غير أن الشك عاد يعذبه وراح يذهب به كل مذهب حتى كاد يضل ويختبل . أتري في العلبة سحرا ... أتراه مسحورا . أم هو إنسان فقد عقله ؟ وما هو هذا السحر الذي في العلبة ؟ ما هيئته وما تركيبه ؟ وتناسى الوعد مع الأسف وفتح العلبة ...

غالياس : ماذا وجد ...؟

بريسكا : لا شيء . لم يجد بها سوى دخان أبيض بارد تصاعد في
بطء حتى ارتفع في الجو كغمامة الصيف ثم اتجه نحو
الجنوب فوق سطح البحر الصامت .

غالياس : هذا كل شيء ؟!

بريسكا : هذا كل شيء . وعندئذ أدرك أوراشيما أنه محاسنة
بيده . وأنه لن يستطيع إلى الأبد أن يعود إلى حبيته
بنت ملك البحر ...

غالياس : وبعد ؟

بريسكا : وبعد ... أحس لساعته أنه يتغير هو نفسه ... فإذا
دمه يجرى بارداً وإذا أسنانه تتساقط وإذا شعره يصير
كالثلج بياضاً وأعضاؤه ترتعد وجسده يتقلص وقوته
تتلاشى ... وإذا هو في لحظة يعود شيخاً هرماً يروح
تحت وقر أربعمئة عام ، وقد انبطح في انتظار الموت
على ساحل البحر الأزرق الصامت الذي لم يتغير ...

(صمت عميق)

غالياس : (بعد تفكير) هو الدخان الأبيض الذى بالعلبة إذن ما كان يحفظه من فعل الزمن !

بريسكا : نعم أيها البسيط !

غالياس : ولكنى يا مولاتى لم أر بعد فى هذه القصة كيف يخلق الحب فوق الزمن مثل الفراشة فوق الأزهار ؟

بريسكا : فات الأوان : لن ترى ذلك فى هذه الحياة ...

(يسمع صوت ضجيج فى الخارج ودق طبول ونفخ

أبواق) .

بريسكا : اسمع يا غالياس ... اسمع !. إنهم آتون ...

غالياس : (ينصت) نعم ... هذا مسوكب الملك .

مولاتى !... أخشى أن يدخل الملك الكهف مودعا

قبل أن يأذن بالبدء فى سد الغار ...

بريسكا : فى هذه الحال ... ما العمل ؟

غالياس : (يشير إلى تجاويف الكهف) تحتبئين يا مولاتى فى

أحد هذه التجاويف .

بريسكا : نعم ... نعم ...

غالياس : ومع ذلك ... فلأذهب لاستقبال الملك حتى لا يرتاب في غيبتى .

بريسكا : نعم ... اذهب ...

غالياس : وإذا دخل الملك فسأسبقه وستسمعين صوتى عاليا كى تنتبهى ...

(يخرج مسرعا بينما تقترب أصوات الأبواق والضجيج) .

بريسكا : (وحدها فتحنى على مشلينا) ... مشلينا ! إنك لم تنكث وعداً ... ولم تفتح علبة محرمة ... ولم يتغلب الشك يوماً على حبك فيدده دخانا طائراً ، فهل يستحق مثلك الفراق الأبدى عمن يجب . !
(تصمت وتطرق ... إلى أن يدنو الضجيج من الباب) .

غالياس : (يصيح بالباب) ها هنا يرقد القديسون أيها الملك !
(بريسكا تنهض بسرعة وتختبئ ... ثم يدخل الملك وغالياس والصياد ورهبان وجند وحاشية) .

الملك : (يتراجع قليلا أمام الجثث ويرسم على صدره علامة الصليب ويلتفت إلى راهب كبير) أيها الراهب !

الراهب : (يتقدم) مولاي !

الملك : ألا ترى أن تضع أجسادهم المقدسة في توابيت ثمينه ؟

الراهب : كلا يا مولاي . فلتركهم كما هم حتى يكون هناك

فرق بين أولياء الله الصاعدين إلى السماء وبين البشر

الماكثين في الأرض . إنهم ليسوا في حاجة إلى التوابيت

فهم عما قليل يصعدون ...

الملك : وهل من الحكمة أن نتركهم هكذا ؟

الراهب : ما دمنا سنسد عليهم الكهف فهم في شبه قبر محكم .

الصياد : (يتقدم) مولاي ! أياذن لي مولاي ؟ ...

الملك : تكلم أيها الصياد ! ...

الصياد : لا ينبغي أن نسد الكهف عليهم .

الملك : لماذا ؟

الصياد : إنهم لم يموتوا يا مولاي ...

الملك : ماذا تقول ؟

الصياد : إنهم نائمون نوما عميقا كما في المرة الأولى ... وسوف
يستيقظون بعد أعوام .

راهب آخر : (يتقدم) نعم يا مولاي ! إنهم نائمون وسوف
يستيقظون .

الصياد : فإذا سددنا عليهم فكيف يخرجون يا مولاي كما خرجوا
في المرة الأولى ؟

الملك : عجبا ! أنائمون هم الآن !؟

الراهب (الأول) : كلا ... أيها الملك ... بل هم ميتون حقيقة
وسيصعدون إلى السماء ...

غالياس : نعم يا مولاي ... لقد ماتوا حقا. وسيصعدون إلى
السماء .

الملك : عجبا ... ! أيكم أصدق إذن !؟

الصياد : مولاي ! ليكن أى الرأيين ... على كل حال لا لزوم
لسدّ الغار حيلة للمستقبل ...

غالياس : كيف ؟ أو نتركهم هكذا لعبث العابثين وقد عرف
الجميع مكانهم ؟

الملك : وإذا استيقظوا حقا يا غالياس ووجدوا البناء عليهم ! ...

غالياس : عندئذ يا مولاي ... عندئذ ... مولاي ! لقد خطرت لي فكرة !

الملك : ما هي ؟

غالياس : نترك لهم معاول داخل الكهف ... هنا ... بجوار المدخل ثم نسنده . فإذا ما بعثوا وأرادوا الخروج ووجدوا البناء عليهم ضربوا ضربتين بالمعاول فينفتح ...

الملك : لا بأس بالفكرة !

غالياس : هاتوا ثلاثة معاول ... أسرعوا (يخرج أحد الأتباع سريعا ويأتي بالمعاول) ضعوها هنا بجوار المدخل ...

الملك : (يشير إلى رجال الدين) الآن تقدموا أيها الرهبان ... وقوموا بشعائركم ورسومكم وداعا للقديسين ... وبعدئذ فلنخرج ولتدق الطبول ، وينفخ في الأبواق إيدانا بسد القبر المقدس ...

يا غالياس ... وأنت يا غالياس ... أعلن إلى الشعب
أن الأميرة قد منعها المرض عن توديع القديسين ...
(الرهبان وخلفهم الملك والحاشية يقومون بالشعائر
والتراتيل ثم يخرج بعد ذلك الجميع ، بريسكا تظهر
بعد خلو المكان) .

غالياس : (يعود مسرعا في حذر) لقد غافلتهم وجئت إليك ،
الوقت ضيق ... وعمّا قليل تدق الطبول وينفخ في
الأبواق لسد المدخل فأخبريني يا مولاتي على عجل بما
تأمرين .؟.

بريسكا : لا شيء بعد ذلك يا غالياس ... إني أشكرك ...
اذهب ...

غالياس : ألم أنفذ كل ما أمرت به يا مولاتي ؟ ...

بريسكا : إني أعرف إخلاصك وطيب قلبك دائما . اغفر لي يا
غالياس إذا نالك بسببي ضرر من أذى . أنت قلت إنك
مستعد للموت من أجلى . وقد يسألك الملك عنى وقد
يتهمك بمطاوعتى ... وقد يحاكمك ويقتلك ...

غالياس : لا يهمنى هذا يا مولاتى . إن حياتى الباقية هى لكِ وفى خدمتكِ دائماً ... لكن ...

بريسكا : ماذا ؟

غالياس : إنى أنخشى تعذيب ضميرى أكثر من تعذيب الملك . ويشهد الله كم توسلتُ إليكِ وكم حاولتُ صرفكِ عن عزمك ... وكم أردتُ إقناعك ...

بريسكا : لا تخف يا غالياس ! ذمتك بريئة . هذا يجب أن يكون ... هذا قدر !!

غالياس : نعم ... وإنك حلمت ذات مرة أنك ستدفنين حية ...

بريسكا : صدق الحلم ...

غالياس : كما صدق العراف . إنك قديسة يا مولاتى ! نعم إنك قديسة بين القديسين ... وهذا ما يعزىنى ... (يسمع دق الطبول) دقت الطبول ... يجب أن أخرج ... الوداع يا مولاتى ! الوداع ! لو لم تكلفينى بمهمة تهدئة الملك التاكل وتعزيتيه وإقناعه لمتُ منعك

هنا ...

بريسكا : ومهمة أخرى يا غالياس . إذا علّمت الناس قصتي

وتاريخي فاذا كر لهم كما أوصيتك ...

غالياس : (وهو يهم بالخروج) أنك قديسة ...

بريسكا : كلا ... كلا ... أيها الأخمق الطيب . ليس هذا ما

أوصيتك ...

غالياس : أنك امرأة أحببت ...

بريسكا : نعم ... وكفى .

(يخرج غالياس وتبقى وحدها ويفلق الكهف عليها

وعلى الموتى)

(انتهى)

بعض ما نشر عن
كتاب «أهل الكهف»

كتب أهل الكهف سنة ١٩٢٩
ونشرت لأول مرة سنة ١٩٣٣

بالعربية :

أول مقال نشر عن كتاب « أهل الكهف »

لفضيلة الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر (الأسبق)

كنت ذات يوم أسير في بعض شوارع القاهرة ، فلمحت في وجه دكان من دكاكين الوراقين كتاباً أنيقاً ، في جمال شكله بساطة تدل على ذوق وفهم .

توفيق الحكيم — أهل الكهف — مطبعة مصر سنة ١٩٣٣
هذا كل ما كتب بظاهر الكتاب أما « توفيق الحكيم » فمؤلف لم تتداول اسمه الجرائد ، ولا تناقلت المجلات صورته . وقد يكون أفندياً أصيلاً ، وقد يكون شيخاً معمماً أو مطربشاً . ففسى الشيوخ أفندية أيضاً .

و« أهل الكهف » نسمع قصصهم من قارئ السورة في المسجد يوم الجمعة ، ويجرى ذكرهم على ألسن الناس مثلاً

مضروباً لمن ينام نوماً طويلاً . فهل الأمر تفسير لسورة الكهف ؟
أو هو بحث في قصة أهل الكهف وكيف تناقلتها الأجيال وتجاوزتها
الأساطير والأخبار ؟ .. مرت كل تلك المعاني بخاطري . ولما كنت
غير مولع بتفاسير المحدثين ، ولا مغرم بتحقيق الأقاليم القديمة
وأصولها ، فقد مضيت مكتفياً بمتعة النظر .

وما هو إلا أن عدت إلى داري حتى أقبل صديق يحمل إلي هذا
الكتاب الذي كان يستوقف نظري منذ قريب . وإذا صاحب
الكتاب ليس شيخاً ولا معماً بل هو أفندي من خيار الأفندية .
ولما شرعت في مطالعة الكتاب أحسست بأن جمال معناه
لا يقل عن جمال صورته .

رواية تقوم على قصة أصحاب الكهف . وقد درس مؤلفها
القصة درساً محيطاً ، ثم أسلم جوهرها إلى خيال موفق وفكر
مستقيم وذوق سليم . فصور من كل أولئك موضوعاً روائياً طريفاً
كساه الأسلوب السهل الفصيح حلة رائعة .

في رواية أهل الكهف أشخاص تستشف من حوارهم طبائع
نفوسهم وخبايا ضمائرهم وأسرار خلائقهم . وفي أهل الكهف

ما يريك الدين إيماناً يملأ الصدر ، وما يريكه موهنا تلينه عواطف
اليأس وتدافعه زينة الحياة وشهواتها . وفي الرواية تحليل للعواطف
في هدأتها وتحليل للعواطف في ثورتها . وفي أسلوبها أحياناً ثوب
من السخرية يرمى في لطف إلى مرمى بعيد .

وفيهما حب — إذا كان لا بد للناس من حب ، وإن لبثوا في
كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً .

كان مشلينا الوزير يحب بريسكا متبناة دقيانوس قبل أن يرقد
في الكهف قرونا .

فلما أحياه الله وذهب إلى قصر الملك وجد بريسكا أخرى هي
بنت صاحب القصر فحسبها حبيته . وأمر مشلينا وبريسكا من
أقوى حوادث الرواية وأروعها وأدناها على مهارة الكاتب في
تصوير مواقف الحب تصويراً يكشف بعض المعاني كشفاً صريحاً
بليغاً ، ويومئ إلى بعض المعاني إيماءاً رقيقاً بليغاً . يذهب هذا
الحب القوي الشقي إلى اسمى مراتب الحب وينتهي إلى أنبل نهاياته
من الجود بالنفس في سبيله عن سكينه ورضاه .

وقصة أهل الكهف من خير ما عرف القصص العربي وليست

تحتاج إلى عناء لتكون رواية تمثيلية قلما ظفر بمثلها المسرح
المصرى .

وإذا كان هذا الأثر باكورة الثمرات بقلم الأستاذ / توفيق
الحكيم ، فهي نفحة النبوغ تفتق أكمامه عن زهره . وإن كان
للأستاذ آثار من قبلها فهذه آية نضجه واكتمال مواهبه .

والمؤلف الذى يفر من مجد إحسانه ، بما فى طبعه من حياء النبيل
والتواضع جدير بأن يحفز فى سبيل المجد والإحسان من كل معنى
بنهضة الأدب .

بيد أن العبقرية تشق سبيلها إلى الكمال والنجاح على كل
حال .

مصطفى عبد الرازق

السياسة الأسبوعية

ملحق العدد ٣١٠٧ — ٨ مايو ١٩٣٣

الفرنسية :

مقدمة الطبعة الفرنسية

جاء في المقدمة الفرنسية التي كتبها « جاستون فييت » مدير متحف الفن العربي والأستاذ بالكوليج دي فرانس باريس تصديراً للترجمة الفرنسية لكتاب « أهل الكهف » في طبعتها الأولى عام ١٩٤٠ ما خلاصته :

« إن النص القرآني » هو الوثيقة الوحيدة المؤكدة في الإسلام ، وهو يشير إلى أن بعض الفتية ومعهم كلهم قد لجأوا إلى كهف هرباً من الاضطهاد . وفيه لبثوا ثلاثمائة عام وازدادوا تسعاً ، غارقين في سبات عميق ، ثم أفاقوا (بعثوا) ... وقد اختلفت التفاسير حول معنى « الرقيم » . فطبقاً لبعض الروايات قيل إن « الرقيم » هي الكتابة التي وضعت على باب الكهف أو نحتت على الجبل . ولكن الأغلب أن « الرقيم » اسم مكان ،

والظاهر أن عديداً من الأماكن في آسيا الصغرى والشام قد تنازعت شرف نسبة هذا الكهف المشهور وأهله النائمين فيه إلى هذه الأماكن .. ولكن توفيق الحكيم قد اختار من بين هذه الأماكن « طرس » أو « طرسوس » الحالية ... كما اختار من النائمين ثلاثة : هم « مكسمليان » و « ماكلس » و « مارتنيان » بالأسماء التي وردت في بعض الكتب العربية القديمة ، التي جعلت من « مكسمليان » ، « مشلينيا » ومن « ماكلس » « يملبخا » . ومن « مارتينيا » « مرنوش » وربما كان للكتابة العربية والحركة « النقط والتنقيط » وتغيراته وتنقلاته ما ساعد على تحريف الأسماء .. أما اسم الكلب « قطمير » فقد بقي على حاله لم يتغير في كل النصوص العربية ... وهكذا صاغ توفيق الحكيم بموهبته المعروفة حول هذا الموضوع هذا العمل الأدبي ...

بالألمانية :

من دراسة طويلة منشورة في مجلة « فكر وفن » الألمانية لناجى
نجيب العدد ٤٠ العام ٢٠ ، ١٩٨٤ ميونيخ ، ألمانيا الغربية
بعنوان :

« أهل الكهف »

ونشأة الأدب المسرحى العربى (المقروء)

حين نشر توفيق الحكيم عام ١٩٣٣ مسرحيته « أهل
الكهف » (وكان قد كتبها قبل ذلك عام ١٩٢٩) استقبلها
أعلام الأدباء والكتاب كحدث كبير ، فيها كما يذهب طه حسين
في مقال له في « مجلة الرسالة » (أواخر مايو ١٩٣٣) نشأ فن
وفتح باب جديد فى الأدب العربى ... — ويمكن أن يقال إنها
رفعت من شأن الأدب العربى وأتاحت له أن يثبت للآداب
الأجنبية الحديثة والقديمة ... بل ويمكن أن يقال إن الذين يحبون

الأدب الخالص من نقاد أجنبية يستطيعون أن يقرأوها إن ترجمت لهم ... » فهي « مزاج معتدل » من الروح المصرى العذب والروح الأورنى القوى ...

بمسرحية « أهل الكهف » دخل الأدب الدرامى دائرة الوعى العام كفروع من فروع الأدب العربى الرسمى ، وقد ارتفع إلى هذه المرتبة بعيداً عن خشبة المسرح .

ويلخص الحكيم الأصدقاء التى أثارتهما « أهل الكهف » بين معاصريه (الشيخ مصطفى عبد الرازق والعقاد والمازنى ...) والاحتفاء الكبير الذى قوبلت به فيقول : « الذى استقر فى ضمائر أهل الأدب يومئذ أن شيئاً ما ، على أساس ما ، وضع ، ولم يشد أحد من الأدباء عن اعتبار العمل لونهاً من الأدب العربى ، مثل أو لم يمثل ! » (مقدمة « الملك أوديب » ١٩٤٩) .

وبوجه عام فقد استقبل الشباب المثقف فى الثلاثينيات أعمال الحكيم القصصية والدرامية بحماس كبير باعتبارها فنوناً أدبية مستحدثة لم يعرفها الأدب العربى من قبل . ويعبر بهاء طاهر (من مواليد عام ١٩٣٥) عن موقف الجيل التالى من « أهل الكهف »

ومسرحيات الحكيم الذهنية إذ يقول : « كانت (أهل الكهف)
و (شهر زاد) مدخل جيل بأكمله إلى الفن الدرامي — جيل
عرف الدراما عن طريق القراءة قبل أن يعرفها على خشبة المسرح .
ففى الأربعينات وأوائل الخمسينات لم يكن للحياة المسرحية
وجود حقيقى . وكانت هذه القطع الأدبية الجميلة تلهب خيالنا
باعتبارها نماذج سامية لفن مفقود . وحين كان يثار الجدل فى ذلك
الوقت عن مسرح توفيق الحكيم وعن المسرح الذهنى الذى كان
يُقرأ ولا يمثل ، لم نكن نفهم المشكلة بالضبط . فقد كنا نجد فى
(أهل الكهف) و (شهر زاد) ما نجده فى سائر المسرحيات
العالمية التى أتيج لنا أن نقرأها من حوار رائع وفكر جليل
(« أغاز شهر زاد » فى « الكاتب » ١٩٦٦ / العدد ٦٩ ،
١٢٠) .

وبمعنى مشابه يقول ألفريد فرج (من مواليد عام ١٩٢٩) :
« إن مسرحيات الحكيم هى التى ألهمت فنانى ومثقفى جيلنا حب
هذا الفن ... اقترن أول لقاء بين جيلنا والمسرح بالدهشة والحب
أمام « أهل الكهف » و « شهر زاد » و « الخروج من

الجنة « ... » (« دليل المتفرج الذكى إلى المسرح » ،
١٩٦٦) .

ويقول ناجى نجيب : إن هناك خلفية تاريخية واضحة لذلك
الاستيعاب نلمسها في العديد من المصادر وفي مقدمتها الإحساس
العام بضالة الثقافة المصرية وضعفها .

هناك شكوى في هذه الفترة (في العشرينات والثلاثينات)
وهي نقص الغذاء الفكرى في الحياة المصرية « وأنه لا سبيل إلى
تلمس هذا النوع من « الغذاء » في الإنتاج المصرى . وكان
المتقف إذ ذاك مزيجاً من الأمل ومن مشاعر السأم والملل . والأمر
أعمّ وأشمل ، وما الثقافة سوى مظهر واحد من مظاهر الضعف أو
القصور .

ويحمل أحمد أمين في مقال بعنوان « بين اليأس والرجاء »
(« الرسالة » ، ١٩٣٣ ، العدد ١٦) أبعاد القضية ، فيشير إلى
أن روح التشاؤم والشك قد شملت أبواب الثقافة والاجتماع
والسياسة ، وأن هذا الطعن في « حياة الشرق » قد زاد الطين
بلة : « فدعاة اللغة والأدب » يلحون أن « الأدب الأجنبى أدب

الثقافة والفن والحلم ، ولا شيء من ذلك في الأدب العربي ، وأن
من شاء أن يفتح عينيه فليفتحهما على أدب أجنبي ولغة أجنبية، وإلا
ظل أعمى ... »

وبإيجاز فحاجة المثقفين في هذه الفترة إلى « الغذاء الفكري
والروحي » كبيرة ، وبالمثل حاجتهم إلى إثبات الشخصية الذاتية
لمعادلة ما يحسّونه من نقص وضعف ، وأيضاً للتعويض عن الواقع
السيء . هناك حاجة ملحة « للمعنويات » لتخطي حقائق الواقع
و « ماديات » الحياة من حولهم . هذا هو التناقض الذي نشأت
من خلاله « أهل الكهف » ومسرحيات الحكيم الذهنية
« شهر زاد » و « بجماليون » و « أوديب » . ويشرح الحكيم في
إحدى مقالاته في الثلاثينات بروز فكرة الشخصية الذاتية
وارتباطها بمفاهيم « الثقافة » و « الفن » عند جيل الرواد ، وعلى
وجه الخصوص بمفاهيم « الإبداع » و « الخلق » و « البحث عن
الأسلوب » . وهي مفاهيم جديدة ذات معان مستحدثة ...

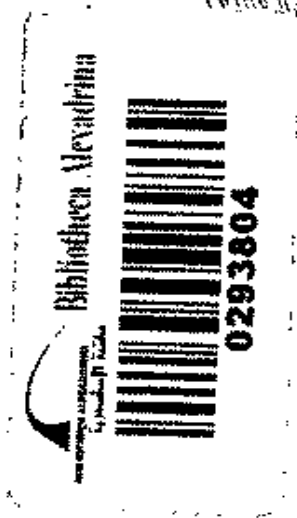
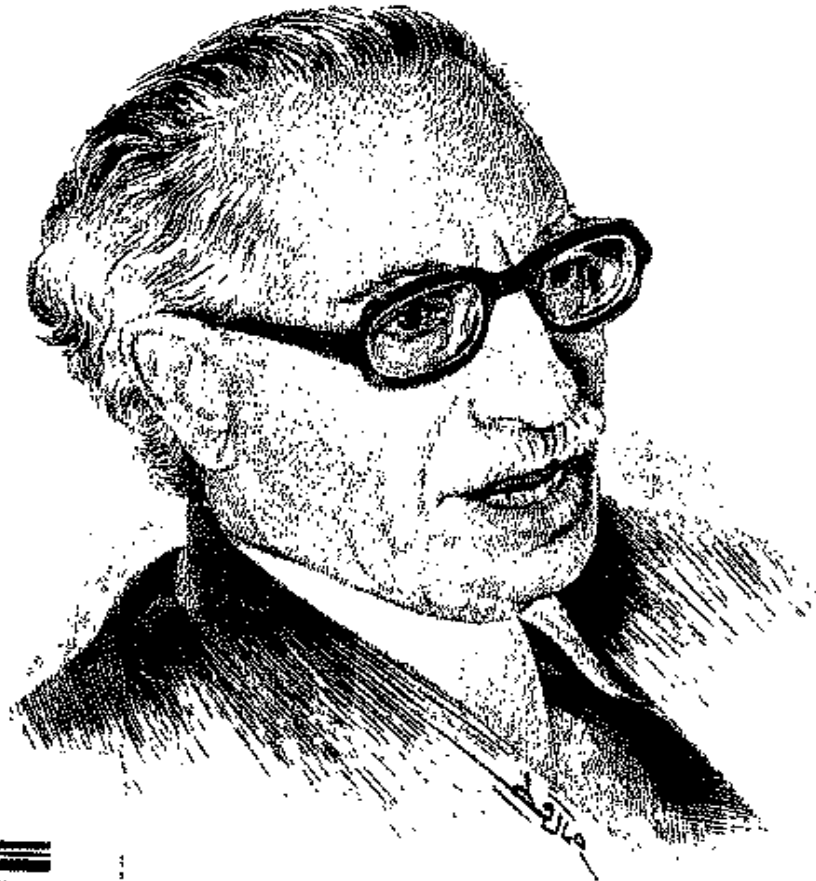
ليس غريباً مع هذا التعطش إلى « الثقافة » وإلى « الغذاء
الفكري » و « المعنويات » أن يكون الطريق إلى تأهيل الفن

الدرامى للقبول فى حديقة الأءب العربى هو الفكر ، ولس من خلال المسرح وفن التمثيل بمقدار اكنشافهم لعالم الفكر والفن الغربى ، وما يحويه من ثراء ذهنى وروحى ، تطلّعوا بعين الخيال إلى آفاق العالمية وقضايا الإنسان « فى أفكاره الثابتة فى كل زمان » (بتعبير الحكيم) ، وتطلّعوا إلى « الخلق » و « الإبداع » ، والمشاركة فى سماء الحضارة الرفيعة . وهذه جميعاً من مفردات هذا الجيل (جيل « الحنين الحضارى ») ، وينعكس هذا بوضوح على تعليق طه حسين على « أهل الكهف » ، وعلى المنظور الذى استوعب منه المثقفون وكبار الأءباء هذا العمل الأءبى . فطه حسين فى تعليقه السابق لا يتوقف لحظة ليناقد محتوى « أهل الكهف » ، وإنما يقيمها فحسب من مضمون ما حققته للأءب العربى إزاء الآءاب الأخرى أو إزاء أءب الغرب . وعلى نحو مشابه استوعبها الجيل التالى الذى عبّر عنه بهاء طاهر (ومن هذا المنظور استوعب البعض أيضاً « عودة الروح ») . وهكذا دخل النص الءرامى حديقة الأءب العربى الحديث من خلال مسرح الفكر ، أى كفن من فنون القول لا التمثيل .

ويوضح الحكيم في «سجن العمر» كيف استوعبت البيئة الأدبية مسرحه الفكرى دون صعوبات : « فالبيئة الأدبية في بلادنا كانت فعلاً مستعدة لتقبله في حين أن البيئة المسرحية كانت لا تزال في واد آخر ... وخاصة بعد عودتى من الخارج ... فقد اختفت حتى المترجمات الحميدة ، وخضع المسرح وقتئذ إلى تيارين اثنين : التيار الإضحاكى والتيار الإبكائى ، وكان لا بد إذن من تيار ثالث هو التيار الثقافى ... » .

وبديهي أن الترجمة والتعريب — على ما لهما من تأثير — لا يكفیان لترسيخ فن مفقود ، والأغلب أن تظل روائع الأدب المسرحى المترجمة بعيدة عن آفاق الجمهور في غياب النصوص الأدبية العربية الدرامية المماثلة . ومن هنا كان الدور الذى أدته مسرحيات الحكيم الذهنية . وبهذه الأعمال الأدبية الأولى اشتهر الحكيم وانضم بها إلى أعلام الأدب وقتذاك (خليل مطران وطه حسين والعقاد والمازنى والزيات ...) كانت شيئاً جديداً ، عبر عنه « أستاذ الجيل » لطفى السيد فى أول لقاء له مع الحكيم بعد نشر «أهل الكهف» و « شهر زاد » بقوله : «أنت شيخ طريقة»! .

رقم الإيداع ٨٨ / ٢٩١٩
الترقيم الدولي ٦ — ٠٣٨٠ — ١١ — ٩٧٧



الشمس ٤٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

To: www.al-mostafa.com